المشرق

السنة الثلاثون — كانون الاول ١٩٣٢

هل كان البطريرك مكاريوس كاثوليكياً ؟

بقلم حبيب الزيات (افالون : فرنسة)

كنا تكلمنا في خزائن الكتب (ص ٢٠٠ ــ ٢٩٠) على تردد هذا البطريرك بين الكثلكة والارتدكسية . واشرنا الى ما نشأ عليه من اللين والتسامح ، وما عُرف به طول حياته من المجاملة والمداراة لاشياع الكنيسة الرومانية ، والتظاهر بالانتماء اليهم ومشاركتهم في العقيدة . ورجحنا مع ذلك اخراجه من مصف البطاركة الكاثوليكيين وتصحيح نسبته الى الروم الارتدكس . واستشهدنا على هذا الرأي بموافقته على كتاب بطرس موجيلا الروسي ، المعروف بقرار الكنيسة الشرقية . وقيامه في اسفاره ، ولاسيما في روسية ، عدة بمقامات جاهر فيها بعداء اللاتين . ونشرنا فصلاً طويلاً من كتابه المشهور « بالنحلة » صرح فيه ، بغاية الوضوح ، بحقيقة دخلته وانتحاله رأي الروم في القضايا الخمس الفاصلة بينهم وبين الكاثوليك . فلم يقع رأينا موقع الرضى لدى حضرة الاب قسطنطين الباشا . ولما نشر فصول « النخبة » التي نقدناها في المشرق (٣٠ [١٩٣٢] ٥٦١ - ٥٧٤) اتبعها بمقالة

طويلة حشد فيها كل ما تراءى له من الدلائل والاحتجاجات على صحة معتقد البطريرك المذكور وقضى انه لا محالة كاثوليكي لا غش فيه.

وقد طالعنا بغاية الارتياح والقبول كل هذه الشروح التي توسّع فيها تعزيزاً لرأيه ومناضلةً عن دعواه . فلم نجد فيها ، بعد الدرس والمعارضة ، الا زيادة في البرهان على ما سبقنا وقررناه من تساهل البطريرك ومداجاته وتقلبه ومصافاته لرجال الكنيستين . ولم نعثر بينها على شاهد واحد قاطع بصدق تروعه عن الارثدكسية وايثاره العقيدة الكاثوليكية . وقد راجعنا ما وسعنا مراجعته من كتاباته العديدة فلم نُلفه اقدم مرة على التلفظ بسمته الكاثوليكية . ولما اضطر يوماً الى الالماع اليها كنّى عنها تكنيةً ولم يصرّح . وهو قوله في خطابه الملك لويس الرابع عشر « نحن من هذا الجنس الاصيل في حسن العبادة اعني سلالتكم الطاهرة » ، يعني الجنس الكاثوليكي ، كما فسّره المرحوم الاب رباط ، وعنه نقل الاب قسطنطين . ولما بلغ القسطنطينية ، في سفرته الاولى سنة ١٦٥٣ ، اجتمع بسفير الملك المشار اليه « يوحنا الملقب بدالاآي » Jean Delahaye وشكا اليه الظلم الصائر على الكنائس والمسيحيين في الشام واستغاث به لتخفيف وطأته عنهم . وكتب في هذا المعنى نفسه عريضة بتاريخ نهار الاثنين ٢٩ تشرين الثاني من السنة نفسها حينما كان في بلاد البغضان رفعها « الى جناب الموقف العالي الملك الهادي والفايق في الديانة المسيحية لوداويكو ملك الرابع (كذا) لتاليون » كما في نسختها المصوّرة عندنا . ولكن ابنه الشماس بولس اغفل ذكرها في تاريخ الرحلة ، ولم ينبث ببنت شفة عن مقابلتهم للسفير المذكور ، مع انه توسع في حكاية كل ما وقع لهم في القسطنطينية وعدد كل زياراتهم واجتماعاتهم مدة ضيافتهم في البطريركية اليونانية . وكان اكثر ايامه ينظر الى الافرنج والكنائس الكاثوليكية بعين النفور والكراهة ، كما يستدل من جملة مواضع من كتابه اوعبها طعناً وازراء كما سيجيء من كلامه . ولذلك صمت عن حكاية اجتماعهم بسفير « العظمة الكاثوليكية » . ولم يلتج بحرف الى العريضة التي خطها بقلمه . وكان الولد ، كما قال عن نفسه في مقدمة الرحلة ، «تابعاً لوالده في كل امر يقتات بغذاء اقواله المحيية شارباً على

الدوام ماء تعاليمه المذبة المروية » . فلا شك انه وقف عند اشارته في كل ما سكت عنه او نطق به في كتابه.

وقد بلغ الهوى بحضرة الاب قسطنطين انه تحكم في اختيار الشواهد التي وقف عليها في مجموع المرحوم الاب رباط «اآثار الخطية » ، فنقل من الصفحة الواحدة ما وجده يؤيد مذهبه ، وتجاوز عن كل ما يخالفه او يضعف حكمه منها ، كما فعل في ما استخرجه من رسالة اندراوس اخيجان بطريرك السريان للملك لويس الرابع عشر بتاريخ ١١ شباط سنة ١٦٦٣ ، وقد جاء فيها انه في ايام القنصل فرنسوا بارون صار اتحاد الروم والارمن والسريان . قال: «فالحمد لله ان بطاركة هذه الطوائف الثلاث كاثوليك » . وانما اراد الكاتب ان يشير فقط الى ميلهم ونزعتهم الى الكثلكة ، لا انهم صاروا في الواقع كاثوليكاً . وقد صرّح بهذا المعنى بعد خمسة اسطر فقال يعني البطريرك مكاريوس : « ونظيرهم اخونا بطريرك الروم بدأ هو ومعظم طائفته ان يعرفوا الحقيقة » . ولا يخفى مغزى هذا القول على احد . وقد علّق عليه الاب رباط حاشية قال فيها « ليحتفظ بهذه العبارة لان اهتداء مكاريوس لم يصحّ قط كما يتبين من سياقة قصته . وقد توقف في رسالته الاتية (التي سبق ذكرها) عن الاقرار بانه كاثوليكي » (ص ٤٧٠) . ومع ان الاب قسطنطين قرأ كل هذا الذي اوردناه ، لم تطاوعه نفسه على نقل هذه الشواهد كلها ونقدها ، بل آثر الاغضاء عن قول البطريرك اخيجان الاخير وعن حاشية الاب رباط لما فيها من الخلاف لتأويله . واقتصر على ايراد عبارة اخيجان الاولى المقتضبة مع معرفته بما في تتمتها من البيان والاستدراك ، رغبةً منه في التوصل الى اثبات كثلكة مكاريوس.

ومن هذا القبيل ايضاً صنيعه في منشور المرسلين الافرنج في حلب سنة ١٦٦٢ ، قالوا فيه بعد حكاية استشهاد داود الرومي الملكي واهتداء تسعة من كهنة السريان مع بطريركهم اندراوس الآنف الذكر : « وهذه الحوادث كلها اثرت في نفوس كثيرين ولاسيا بطريرك الروم » . فعلق الاب رباط على هذا الموضع قوله: « هذا البطريرك هو مكاريوس الذي بقي كل حياته متذبذباً

بين الشقاق والوفاق حسب تأثيرات الحال ومصالحه الشخصية » (ص ٤٥٨) . فسكت الاب قسطنطين عن هذا الحكم الصريح كما سكت عما قبله ولم ينبّه عليها بحرف واحد . واقتصر على ما قرأه في المنشور نفسه ان البطريرك مكاريوس ارسل مع القنصل فرانسوا بيكيت رسالة الى البابا اعترف فيها بسلطته على الكنيسة الارثذكسية (ص ٤٥٩) . وقد استطال بهذا البرهان ، وهو في الحقيقة اهم ما عوّل عليه في اثبات دعواه.

على ان هذا التسليم من البطريرك برئاسة البابا سرّاً في رسالة خاصة لم يكن في الواقع الا خدعة خلب بها قلوب المرسلين ، وحلاوة من طرف اللسان والقلم جامل بها القنصل واللاتين ، مراعاة لاغراضه الحاضرة ، بدليل انه لم يتوقف لحظة عين بعد قليل عن الذهاب الى خلافه وهدم ما بناه ونقضه بموافقته على مضمون كتاب بطرس موجيلا الروسي ، المشهور بقرار الكنيسة الشرقية ، في المجمع الملتئم في القسطنطينية برئاسة البطريرك برثانيوس . وقد وقع عليه بقلمه في جملة الحضور بتاريخ ١٣ اذار سنة ١٦٦٣ ، اي بعد اقراره بخط يده بسلطة البابا ببضعة اشهر . وهذا الانقلاب السريع كافٍ وحده للتعريف بالرجل وبحقيقة كثلكته الموهومة. وكل يعلم ما في الكتاب الروسي المشار اليه من العداء للبابوية والمخالفة لعقائد الكنيسة الكاثوليكية ، كما اثبت ذلك الاب مارتن جوجي الصعودي في مقالته في مجلة « اصداء الشرق »[1] فالتوقيع اذن على مثله اقرار لعقيدته وقبول لمذهبه. وقد اغضى الاب قسطنطين عن هذا البرهان القاطع لكل تأويلاته وتخريجاته ولم يتمحّل له اقل عذر كما تمحّل للفصل الذي نقلناه من كتاب « النحلة ». ولا يخفى ما في هذا السكوت عن كل ما خالف رأيه من التغرّض والعدول عن النزاهة المفروضة على كل مؤرخ نظيره.

وهذا الفصل المشار اليه في « النحلة » عربه البطريرك مكاريوس ليس عن كتاب بائيسيوس اسقف غزة ، كما زعم حضرة الاب ، ولكن عنه وعن كتب

1) Echos d'Orient. *La Confession Orthodoxe de Pierre Meghila, par* M. Jugie 1929. n° 156, p. 419.

اخرى ، كما جاء في مقدمة « النحلة والتاريخ الرومي العجيب الجديد » . وقد كتبه في سفرته الثانية ، بعد اقراره السري بسيادة البابا وتوقيعه على كتاب موجيلا الروسي ، وهو مثله مطبوع على غرار واحد في الانتصار للكنيسة الشرقية وتأييد قضاياها الخمس التي تنكرها على الكنيسة الغربية . وقد اختاره البطريرك حراً غير مضطر ولا مكره . واطلق عن طواعية لقلمه العنان في روايته وشرحه دون اقل استدراك عليه او تنصل منه . فهو اذاً في نظره كما قال « من جملة الازهار الزكية التي طاف عليها وجنى منها » هذا الشهد . ولا ريب انه عده من جملة « المنافع الروحانية » التي ذكر انه كان يبحث عنها في كل « كتاب رومي غريب » حباً بمنفعة قرائه . فاذا لم يكن مثل هذا الاختيار والتوسع في النقل دالاً على ما وراءه من المشاركة والمشايعة في الرأي والاعتقاد ، وبالتالي عنواناً على دستور ايمانه ودخيلة مذهبه ، فما ندري ايّ شيء يعني سواه ! ولا ما كان الداعي اليه والباعث له على انتقائه واستخراجه ! وقد قيل دلّ على امرئٍ اختياره .

وقد ادرك الخوري قسطنطين ان في مثل هذا الاختيار والتعريب تبعة على البطريرك لا يتهيأ له تبرئته منها ، فاحبّ ان يرتاد له وجهاً آخر في الدفاع عنه فتخيّل له عذراً جاء فيه بالطامة الكبرى . وهو ان بائيسيوس اسقف غزة « صانع البطريرك مكاريوس حتى عرب ما اراد من كتابه مع ما فيه من الزور والبهتان » (كذا ص١٣٨) . وافتراض مثل هذا العذر الغريب يترتب عليه طبعاً انه في شرع المعتذر يستطيع البطريرك ان يتقبل الرشوة على تعليم ما يخالف ايمانه ويبقى عنده مع ذلك كاثوليكياً . ولا شك انّ قلم حضرة الاب خان فكره وتجاوز مراده ، والا فهو اوفر علماً من ان يجهل ما في هذا الرأي من الشناعة والفظاعة ، فضلاً عما في اطلاقه على البطريرك من الحطّ من كرامته والإزراء باخلاقه وآدابه .

ومما تعلل به ايضاً في الاعتذار عن فصل « النحلة » ان النسخة المخطوطة التي وقفنا عليها هي ، كما قلنا في وصفها ، نسخة مخرومة ناقصة . وادعى اننا لو طالعنا في مكانها نسخته الكاملة وقرأنا كلام البطريرك على فتح القسطنطينية

وعاقبة الشقاق على الروم لكنا عدلنا عما كتبناه (ص١٣٦). ولا نفهم اي محل لنقص النسخة في نفي كثلكة البطريرك او اثباتها . وقد نقلنا من لفظه في شرح القضايا الخمس الفاصلة بين الكنيستين واحتجاجه للروم فصلاً برأسه تاماً كاملاً قال فيه ان « هذه الخمسة اشيا ابتدعوها الافرنج ومنها تزول كل الشكوك » . وليس بعد هذا التصريح حاجة للمزيد . واما ملامته الروم على الشقاق فلم ينفرد بها وحده بين اشياع الكنيسة الشرقية . وهي رأي كل مسيحي عاقل منصف . وكان في سفرته الاولى قد سمع من الطعن والانتقاد على الروم وملوكهم ورؤساء كهنتهم ما رواه في غير موضع من كتبه . ولا بأس ان ننقل هونا مما تلقنه ابنه الشماس بولس وسمعه مع والده من الروس في المعنى نفسه . قال بعد ان وصف طقس الاحد الاول من الصوم عندهم :

« ولا زالوا على هذه الحال يذكروا لكل قديس « فليكن تذكاره مؤبداً » من ثم واحد ثلثاً الى ان انتهوا من ذكر قديسينا وابتدوا في ذكر قديسيهم الجدد . . . ثم ابتدا يذكر ساير ملوكهم رحم الله جميعهم وجعل حظنا معهم . الذين تملكوا من طول زمان هذا مقداره أكثر من سبعماية سنة كما ذكرنا اولاً . ولم يظهر فيهم احداً محارب للايقونات ولا ارطوقي . الا ان جميعهم قديسين كما كنا نشاهد ايقوناتهم ونسمع اخبارهم . لا كمثل ملوك الروم الذين دنسوا الملك لا رحمهم الله في محاربة الايقونات واراسيس وبدع وغير ذلك . لان يعلم الله كنا اذا نظرنا صور السبعة مجامع واولئك الملوك الاراطقة ومحاربي الايقونات مصوربنهم منحدرين الى الجحيم كنا نستحي من المسكوفيون ومن ملكهم واكابرهم . لانهم يتهزون بهم وبملكهم قائلين انظروا الى اولئك الملوك الذين من نورهم استنرنا بنور الايمان كيف كانوا يفعلون في كنيسة الله المقدسة من محاربة الايقونات والسجس والشرور . وكيف كانوا يعاقبون البطاركة ورؤساء الكهنة وكل طغمة الكهنوت مع الابرار والنساك والقديسين . اعظم ما كانوا يفعلون عباد الاصنام مثل ديوكلتيانوس ومكسيميانوس وغيره . وكيف ولا كانوا يفعلون ملوك الروم ذلك لانهم كانوا يملكون عليهم اعداء الدين مثل لاون الارمني وغيره رعاة الحمير ومقلفطين المراكب وغيرهم الذين ليس هم من بيت الملك ولا من اهله . وكيف ولا وكانت ملكاتهم مثل افضوكسيا وامثالها . تلك التي اقت فم الذهب ونفت في كنيسة الله افعال ما فعلوها عباد الاصنام في زمانهم لاجل غرضها . وغيرها من الملكات الذين كانوا يعادلون على ازواجهم الملوك ويقتلونهم ويتروجون غيرهم ويملكونهم كما يخبر التاريخ الرومي الجديد عنهم اخبار يا ليته لا كان ذكرها عن قبايحهم وتلاعبهم في المملكة كاولاد الصغار . لقد يخجل من سامعها الفتى . ولاجل هذه الاخبار وغيرها ومناقص اولاد الروم وقبايحهم الدايعة في كل مكان . ما كنا ننظر لهم محب في كل مكان اصلاً . كما شاهدنا باعيننا

لان من جورهم في البنضان اراخنة فاسيلي وفادم قامت الرعايا جميهم وهزموه وقتلوا جميعهم ونهبوا اموالهم . وكذلك عدنا الان سمعنا ما جرى عليهم مثل ذلك في بلاد الفلاخ كلها . ولا رأينا الفرق يحبونهم . والمسكوفيون لا يقبلونهم الاشفقة منهم يتصدقون عليهم . ويا كم ما انفوا الى بلاد سيبيريا والى ديورة بحر الظلمات منهم . ويا كم حكام بوتبليا منها للورا يردونهم . وكل ذلك لكثرة قبايحهم وعظم شرورهم . واما في البلاد الافرنجية جميعها لا يطيقون ذكرهم قايلين لانهم هم الذين بعكس تدبيرهم ضيعوا الملك منهم وقووا الترك لما ملكوها على ممالك غيرهم . فا هم هولاء القوم . وما هي هذه فعايلهم . فاذا كانوا هكذا فلوا من القدم ملوكهم فما هو عجب الآن ما يفعلونه من القبايح في اين ما حلوا هم وروسا كهنتهم . الله يلطف بنا وبهم . هذا الكلام ما هو ديونة منا . لكن هكذا كنا نسمعهم في اين ما اتينا يتكلمون عنهم . . . وكان لما يذكر الارشيدياكون اسماء جميع ملوكهم وملكاتهم واولادهم من حين ما صاروا مسيحيين الى عهد ميخاييل ابي هذا الملك كانوا يترغوا لكل واحد منهم « فليكن تذكاره مؤبدًا » ثلثًا . . . ولما ذكر اسماء الاراطقة من البطاركة والكهنة وغيرهم من الملوك محاربي الايقونات كانوا يترغوا لكل واحد « اناثيما » ثلثًا . ولعنوا جميعهم مع ساير ملل الافرنج والارمن وغيرهم . » (١

فهل يصحّ ان يحتج بمثل هذا التنديد والازراء الشديد بالروم لاثبات ميل البطريرك للافرنج واقرار مذهبه الكاثوليكي في حين ان هذا الطعن منه في الروم لم يمنعه قط من موالاتهم ومشايعتهم في الايمان كل حياته تقيةً منهم او حرصاً على مصلحته لديهم ؟

ولم يكتفِ في سبيل هذه الموالاة والمشايعة بالتوقيع معهم على كتاب موجيلا الروسي ، وتعريب فصل « النحلة » في تضليل اللاتين ونسبتهم الى البدعة . بل تتبع من تلقاء نفسه مؤلفات الروم في هذا المعنى وعرّبها خدمةً لهم وتعصباً . وله اليوم في خزانة بريتيش موزيوم مقالة في « العلما الروم الذين كتبوا باللغة اليونانية مصنفات يردون بها على بدع اللاتين المحدثة وذكر اسمائها على ترتيب حروف القابيطا » (*Codex* VIII, *Pars* II) . وعرب لهم ايضاً في سفرته الثانية « كتاب اخبار السبعة مجامع المقدسة المسكونية المشتمل على الاعتقادات المستقيمة البهية » وهو اعلان منه ومجاهرة بعدم قبوله المجمع الثامن كسائر رجال الكنيسة الارتدكسية . ولذلك كان يعلم في موسكو « الاعتراف بالمجامع السبعة ولعن المجمع الثامن » ، كما سيجي .

١) رحلة البطريرك مكاريوس ، خزانة باريس : رقم ٦٠١٦ ، ص ١٦٦–١٦٧

وكان قبل سفرته الاولى حينما كان في حلب يقرب المرسلين اسوةً بسلفيه افتيميوس الرومي وافتيميوس كرمة ، ويظهر لهم المودة والولاء ، ويستعين بهم على التعليم في المدارس والوعظ والارشاد وقبول الاعترافات والكتابة والترجمة. وفي خزانة مجمع نشر الايمان وصف مغفل باللاتينية لكنيسة الروم في ايامه لا شك انه بقلم احد المرسلين الكبوشيين في حلب جاء عنه في اثنائه ما تعريبه ، بعد وصف البطريرك مكاريوس :

« تمكن المرسلون في عدة اجتماعات لهم ببطريرك الروم ان يتزلفوا منه وينالوا حظوة لديه . فاذن لهم ان يشرحوا الدين المسيحي للاولاد في خمس مدارس لهم واوصى كل المعلمين فيها ان لا يعارضوا ايًا كان من المرسلين . فتولى الاب سلفسترس تعليم مدرستين كان في كل منهما خمسون طالبًا . ووكل الثلاث الباقيات الى الاب بلاسيوس . وبهذه الطريقة تعرّفنا باكبر البيوت حيث كنا نُستقبل باوفر الاكرام . وكان المرسلون اذا حضروا الذبيحة الالهية في كنيسة الروم يدنيهم البطريرك الى اقرب مكان منه . ويحتفي بهم بغاية الاجلال . ولذلك كان الشعب كله او معظمه يحترمنا ويستمع منا كلام الله بغاية الورع والغيرة . »(١

ولكن هذا الودّ والولاء للافرنج واللاتين ما عتم ان انقلب الى اشدّ الكراهة والبغضاء منذ وطئ البطريرك ارض موسكو وتلألأت في عينيه صفرة الذهب الروسي . ومن طالع كتاب الشماس بولس الذي جمع فيه اخبار رحلتها الى بلاد الفلاخ والبغدان وروسية وجده طافحًا بالطعن على الافرنج ولاسيا « اللاه الكفرة الملاعين » اي اهل بولونية ، مشتملًا على اقبح الشتم والانتقاص للاتين . وهذا نص ما كتبه عن اليسوعيين اصحاب والده بالامس . قال :

« كانوا اللاه دايما غادرين . . . ثم زادوا في ظلمهم الى ان سمعوا من شر اقوال قسوس الايسوعية لا بل اليزيدية لهم . زعموا لينفوا القزق كلهم ويجعلوهم افرنج تابعون للبابا كمثلهم . » (ص ٦٦)

وقال ايضاً بعد ذكر الدير المعروف باسم نياح السيدة خارج كيوف :

« بسبب هذا الدير جرى ما جرى على اللاه من شر قسوس الايسوعية لا بل اليزيدية

---

(1) *Archivio della S. C. de Propaganda Fide.* Scritture non riferite dal 1622 a tutta il 1707, fol. 64.

الذين ارادوا ان يأخذوه من الارتدكسيين. وهو كان سبباً لزوالهم واضمحلالهم للناية. »
(ص ٧٧)

وفي كيوف هذه سمع البطريرك بكل ارتياح وقيّد ابنه بغاية الفخر والاعجاب: « ان لاهل كيوف اعتقاد كلي م وهذه البلاد جميعها الى المسكوف ان بطرك انطاكية هو صاحب الحل والربط وهو خليفة بطرس الرسول . وله وحده اولاً خوّل السيد المسيح الحل والربط في السماء والارض وهو اقدم البطاركة. » (ص٨٤)

قال الشماس :

« وعلى هذا المنوال سأورد خبر اطيف اتى محله ههنا . وذلك انه جاء الى عند سيدنا البطرك في هذه بلدة كيوف كاهن مكلف رومي الجنس مقيم في مدينة جربز في الفرانسة واجتمع به بشوق كبير . . . اخبرنا هذا الكاهن المسمى بابا ايليا قايلاً انه خرج في هذا الزمان في بلاد الفرانسة رجل عالم فيلسوف للناية مذهبه لوطروس وانقادت اليه خلايق كثير. هذا ظهر يشنع على هذا البابا اموراً كثيرة . منها انه ارسل اليه رسالة لرومية قايلاً له . سوءال . كان ملك عظيم الشان وكان له خمسة بنين . وكان يحبهم جميعاً بالسوية . ثم انه قسم ملكه بينهم بالسوية. وكذلك صار . فالواحد منهم انشق وزاغ عنهم وصار برأي نفسه . واما الاربعة فبقيوا على محبتهم لبعضهم بعض ووصية ابيهم فاي منهم يطاع . الواحد الذي خرج عن اخوته ام الاربعة الذين بقيوا على وفاقهم . ثم انه رد الجواب قايلاً ان الاربعة بطاركة والبابا خامسهم صاروا منذ عهد بطرس الرسول وبقية الرسل ومن المجامع المقدسة . وبقيوا شي واحد كما هو معلوم زماناً طويلاً على الايمان المستقيم اخيراً انحرف البابا عنهم اي انفصل من الجسد او الكف الاصبع الواحدة . فالواجب الاطاعة للاربعة لا لذاك . . . وقال الفيلسوف المذكور جواب ثاني . اذا كان البابا يدعي انه خليفة بطرس الرسول فالاولى بهذه الدعوى بطرك انطاكية لان بطرس الرسول اول ما صار بطركاً بها وحظي باكرام كلي بها. واما رومية فانه صلب بها . ثم اخبرنا الكاهن المذكور ان في ساير بلاد الافرنجية يحبون بطرك انطاكية ولهم به اعتقاد كلي بخلاف غيره. » (ص ٨٤ — ٨٥)

ومن هذا الهذيان الذي دعاه الشماس خبراً لطيفاً ، واصغى اليه والده دون انكار ولا استكبار ، يستدلّ على المقام الذي قامه البطريرك في اسفاره بين رجال الكنيسة الارثدكسية ، والمقعد الذي تعده في المجامع التي شهدها في القسطنطينية وروسية . وبالتالي تظهر حقيقة معتقده في الكنيسة الكاثوليكية التي كان يرى نفسه احق من امام احبارها بخلافة بطرس الرسول . وكان هذا العداء منه للبابا والافرنج معروفاً لا يتوجه اليه اقبل شك في نظر الروس

ولذلك لم يتوقف البطريرك نيكون عن تكليفه هداية الكهنة من اسرى بولونية من الضلال البابوي كما حكاه الشماس قال :

« سلم البطرك نيكن لسيدنا البطرك ستة كهنة من بلاد اللاه مشرطنين من قبل كردينال البابا المقيم في مدينة فيلنا . . . ولباس كهنوتهم مثل كهنتنا الا انهم كانوا ينوهوا باسم البابا . حتى وقنداق قداسهم مثنا . فهولاء لما استحوذوا احد اراخنة الملك على احد البلاد واخرب كنايس اللاه وقتل الكهنة تضرعوا اليه هولاء واخبروه انهم ارتودكسيين . فارسلهم الى عند البطرك نيكن لينظر في امرهم . فلما جاؤا اقاموا احد عشر جمعة لا احد ينظر اليهم لكثرة اشغال البطرك الى الان . حتى فرج الله لهم على يد معلمنا . . . اخذناهم منا لكنيسة الملكة . ثم احضرنا له اثنان من اوليك الكهنة . . . ابتدا سيدنا البطرك يلقنهم اسرار اعتقاد الامانة واحدة واحدة والاعتراف بالمجامع السبعة . وباركوا ما باركوه ولعنوا ما لعنوه . ثم لعنوا الاراطقة والمجمع الثامن والبابا . . . » (ص ١٨١)

فهل من كانت هذه سيرته وسريرته ، وكان هذا بلاؤه وغناؤه بين رجال الكنيسة الارثذكسية ، ومن اقدم على لعن المجمع الثامن والبابا ، وكان يرى نفسه اولى من البابا بالحل والربط واقدم نسباً في خلافة بطرس الرسول يصح ان يعد كاثوليكياً في نظر الاب قسطنطين ؟ نعم انه قرَّب المرسلين في حلب ودمشق ، وتظاهر بموالاة اللاتين وقبول الكثلكة ، وارسل رسالة الى البابا اعترف فيها — فيما رواه بعض معاصريه من الافرنج — بتقدم الحبر الاعظم وسلطته . ولكنه ما عتم ان قلب ظهر المجن ووقع على كتاب موجيلا الروسي ، وعرَّب فصل «النحلة» والمصنَّفات المعادية للكنيسة الرومانية ، وهزأ بالقنصلين بيكيت وبارون ، وشايع الروم والروس ، ومكر بالمرسلين . وحاول بعد عودته من موسكو فتق ما رتقوه وتفريق ما جمعوه ، كما نبّه على ذلك شاهده الاب ميشيل نو اليسوعي في رسالة له باللاتينية بتاريخ ١٧ اذار سنة ١٦٧١ محفوظة في مجمع نشر الايمان ، وصف بها كنائس دمشق وقال فيها ما تعريبه :

« في هذه المدينة يمتاز الروم بين النصارى بثروتهم وكثرتهم . وقد نقلوا اليها منذ زمان قديم الكرسي البطريركي الانطاكي . وهم يحتفلون في كنيستهم بطقوسهم بغاية الابهة . وليتهم يقيموها بمثل هذا القدر من التقوى والايمان . وكان بطريركهم مكاريوس قبلاً موثراً لنا . ولكنه اليوم بعد رجوعه من البلاد المسكوفية وازدياد اقتداره يظهر انه رجل آخر بلسان آخر . قدَّر الله ان لا يهدم في ايام قليلة ما بنيناه نحن في سنين كثيرة . »

وهذا نص الاصل باللاتينية :

Graeci verò hac in Urbe inter Christianos multitudine, et opibus eminent. Jam dudum est cum huc Antiochenam Patriarcalem Sedem transtulerunt. Quae sui sunt ritus in suo Templo magna pompa exequuntur, utinam pari pietate, et fide. Nobis olim favebat qui ipsis praeest Patriarcha Macarius. Nunc post suum è Moscovia reditum auctis facultatibus alius videtur, et alia loquitur. Faxit Deus ne diebus paucis ea diruat, quae annis pluribus sumus commoliti .(1)

ومما يزيد في قدر هذه الشهادة انها كتبت ست سنوات بعد ان ارسل مكاريوس عقيدته الكاثوليكية المزعومة الى رومة . وهو ما يدل على انها لم تكن منه الا تملقاً وشقشقة لسان . وقد مرَّ علينا نيف وثماني سنوات ونحن نتطلبها في رومة بين هذه الاوراق المشتتة في مئات من المجلدات المتراكمة في مجمع نشر الايمان دون ان نظفر بضالتنا منها . وقد وقفنا في اثناء هذا البحث الطويل الشاق على عدة عقائد كاثوليكية لبعض خلفاء مكاريوس واساقفتهم بتواقيعهم الاصلية ، نظير اثناسيوس الدباس ، وكيرلس الزعيم حفيد مكاريوس ، ومثل مكاريوس اسقف طرابلس ، وبرثانيوس اسقف بعلبك ، وسلفسترس دهان مطران بيروت ، وقزما رئيس اساقفة طورسينا ، وبرثانيوس اسقف آمد (ديار بكر) ، وجراسيموس ونارفيطس نصري اسقفي صيدنايا ، وغيرهم من رجال الكنيسة الملكية بين اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر في الحقبة السابقة تميز الطائفتين . فلم يكن غياب عقيدة مكاريوس وحدها دون سواها الا ليزيدنا ريبة في صحتها واستقامتها واعتقاداً في ابهامها وشبهتها . وبالتالي يقيناً في تنحية مجمع نشر الايمان لها ، حتى عثرنا اخيراً على نص صريح ناطق بتحويلها الى ديوان التفتيش (2) . وهو كما يُعرف ديوان كل متَّهم ظنين . وتعقّبها هنالك لا تطوله اليد ، ولعله لا يتهيأ اليوم لاحد .

1) *Archivio della S. C. di Propaganda Fide.* Scritture Riferite nei Congressi Siri a. 1631 — 1773, vol. 1.

2) *Acta S. C. di Propaganda Fide, 1665 Cong., 19 Genn.* n° 6, fol. 3 v°.

وهذا التحويل لديوان التفتيش كافٍ وحده لاسقاط البرهان الفرد الجدير بالاعتبار الذي بنى عليه الاب قسطنطين صرح دعواه . وقد كان امساك المجمع عن قبول عقيدة مكاريوس والجواب عليها معروفاً في دمشق لا يُشتبه في تأويله . وكان تذكاره لم يبرح من بال البطريرك كيرلس حتى بعد انقضاء خمسين سنة عليه . ولذلك لم يغفل عن الاشارة اليه والاحتجاج به حين كلف الخوري سارافيم طاناس ان يجيب عنه دعوة البابا له للوفاق . وهذا تعريب ما ورد في هذا الصدد في محضر المجمع المقدس بتاريخ ١٢ تشرين الثاني سنة ١٧١٥ :

« قال ايضاً سيرافيم طاناس انه لما اقنع بطريرك الروم بالخضوع للسدة الربولية قال له البطريرك انه يجب قبلًا ان يرسل له البابا رسالة يدعوه فيها ، وانه بعد ذلك يعترف برئاسته عليه وينادي بالايمان الكاثوليكي في كل المشرق لانه لا يشاء ان يجري عليه ما جرى على عمه (غلطاً بدلاً من جده) في ايام قداسة البابا أربانس الثامن (كذا) حين ارسل الى رومة دستور ايمانه ولم ينل قط جواباً عليه . »[1]

وفي خزانة المجمع ايضاً رسالة لرئيس الآباء الكرمليين في حلب بتاريخ ٣ ايار سنة ١٦٨٢ فيها ذكر البطريرك مكاريوس وانه « مات بعد ان عاد الى شقاقه »[2] . ويستدلّ من هذه الكتابة وامثالها مما كان يرد قبلًا على المجمع ان رومة كانت لا تجهل حقيقة دخلة مكاريوس ومداهنته وقلة اخلاصه . ولذلك لم تُستدرج بخديعته ولم تحفل بعقيدته ، وعرفت انه إمّعة لا يستقرّ على مذهب من المذاهب ، بل ثعلب مسنّ من اروغ الثعالب .

---

1) *Acta S. C. di Propaganda Fide dall'anno 1715*, f° 602.

2) *Acta S.C. di Propaganda Fide dall'anno 1682* f° 289, lettre du P. Angelo di Gesù e Maria, Supérieur des Carmes d'Alep.

الغريبة

ننشر فيما يلي قصيدة من رواية «حمى الامير» التمثيلية التي يضعها الاستاذ كرم البستاني ، احد اساتذة كليتنا ، وقد صوّر فيها غريبة تصف وحشتها ، وآلامها ، والمصائب التي توالت عليها فشرّدتها وحيدة في بلاد لا انيس لها فيها . قال :

غريبةٌ في بلدٍ موحشٍ   هيهاتَ تلقى من يُعزّيها !
تقاذفتها عادياتُ الشقا   فأبعدتها عن مغانيها .
تسيرُ ، والهمُّ رفيقٌ لها ،   وزفراتُ اليأس تُضنيها ،
تُرعدُها النأمةُ إمّا سرت ،   ووحشةُ الصمت تبكّيها .

. . .

تذكر اهليها وما نابهم ،   فتنثني تندب اهليها :
أمّاً حنوناً ، وأباً طيّباً ،   كانا لها الدنيا وما فيها ؛
راحا ، فراحت بيضُ آمالها ،   وبُدّلت يأساً امانيها .

. . .

تسعى الى السلوى ، وأنّى لها !   وهل ترى ساوٍ تسلّيها ،
وكلُّ ما تشهدهُ باعثٌ   في نفسها حزناً يعنّيها !
تُقطّع اللوعاتُ أحشاءها ،   ولاعجُ الآلام يُفنيها .
لكنما الله لها ، فهو لا   يتركها ، والله يكفيها !

كرم البستاني

المناذرة ملوك الحيرة

قرن ونيف من تاريخهم
٤٠٣ - ٥١٤ م

بقلم يوسف غنيمة (بغداد)

١
تمهيد

قام على عرش الحيرة سلالتان هما السلالة التنوخية التي دام حكمها (١٣٨ — ٢٦٨ م)؛ والسلالة اللخمية، وهم المناذرة من آل نصر، دام سلطانهم (٢٦٨ — ٦٣٢ م). مع فترات تخللت هذه الحقبة استولى فيها على التاج الحيري دخلاء عيّنهم الاكاسرة. وكان رأس السلالة اللخمية عمرو بن عدي، وعقبه في الحكم ابنه امرؤ القيس البدء، فعمرو الثاني ابن امرئ القيس، فأوس بن قلام العمليقي (ولم يكن هذا من آل نصر بل لخميًا من اشراف الحيرة) فامرؤ القيس الثاني ابن عمرو الثاني.

وكان خليفة امرئ القيس الثاني ابنه النعمان الكبير، وهو من مشاهير ملوك الحيرة. ثم تتابع على الحكم ملوك آخرون. وقد اتخذنا موضوع بحثنا الحاضر تاريخ المناذرة من عهد النعمان الاكبر حتى امرئ القيس الثالث. ويمتد زمانهم من سنة ٤٠٣ الى سنة ٥١٤ م، اي نحو قرن ونيف. وهذه الحقبة هي احدى الحقب الغامضة من تاريخ ملوك الحيرة.

وقد اقتطفنا هذا الفصل من كتابنا المعنون: « الحيرة: المدينة والمملكة العربية » الذي تكلمنا عنه في مقالنا « العلوم في الحيرة » المنشور في « المشرق » الاغر في اعداد آب وايلول وتشرين الاول وتشرين الثاني من هذه السنة.

النعمان الاول او الاكبر

٤٠٣ ـ ٤٣١ م[1]

السائح ، والاعور ، وابن الشقيقة[2]

النعمان الاول ابن امرئ القيس الثاني ، وامه شقيقة بنت ربيع بن ذهل ابن شيبان بن ثعلبة ، على رواية اكثر المؤرخين ، ولهذا يقال له ابن الشقيقة[3] الا ان المسعودي[4] يذكر اسم امه الهجانة بنت مسلول من مراد ويقال من اياد.

قال النعمان بن امرئ القيس شهرة بعيدة ، وحاز منزلة عظيمة في تاريخ ملوك الحيرة ، لما كان عليه من حسن التدبير وضبط شؤون الملك ومن الحزم في ادارة مالية البلاد ، وتنظيم الجيش ، والبطش بالاعداء ، والامعان في الغزو والفتوحات ، والميل الى العمران والبناء ، مما ستراه . فقال عنه المؤرخون : كان من اشد ملوك العرب نكاية في الاعداء ، وابعدهم مغارًا ، وغزا الشام مرارًا كثيرة ، واكثر المصائب في اهلها وسبى وغنم[5] وقال حمزة الاصفهاني[6] : وكان ملك فارس ينفذ معه كتيبتين : الشهبا ، واهلها الفرس ، ودوسر ، واهلها تنوخ ، فكان يغزو بها الشام ومن لا يدين له من العرب . وقد اشتهرت الدوسر ببطشها حتى قال العرب في امثالهم « ابطش من دوسر »[7] ، وقال الشاعر :

---

١) يختلف المؤرخون في توقيت زمانه فيجعله پرسڤال ومن اعتمد عليه من سنة ٣٩٠ ـ ٤١٨ .

٢) في كتاب النصرانية وآدابها في عهد الجاهلية ، ص ٨٧ ، هو النعمان الثاني ابن المنذر الاول ، الذي سيأتي الكلام عنه في هذا المقال في البحث في تاريخ الاسود .

٣) حمزة الاصفهاني : ص ٦٨ ؛ والطبري ٢ : ٧٢ ؛ وابن الاثير ١ : ١٥٩

٤) مروج الذهب ٣ : ١٩٩

٥) الطبري ٢ : ٧٢

٦) تاريخ سني الملوك والانبياء ، ص ٦٨

٧) الميداني : مجمع الامثال ١ : ٧٨ في تفسير المثل « ابطش من دوسر ».

ضربت دوسر فيه ضربةً اثبتت اوتاد ملك ، فاستقر !

وقد نسب اليه بعضهم خمس كتائب، وهي الرهائن، والصنائع، والوضائع، والاشاهب ، ودوسر . الا ان الميداني[1] نسبها الى النعمان بن المنذر وليس الى النعمان بن امرئ القيس . وسيأتي الكلام عنها في تاريخ ابن المنذر.

ومما يدلّ على حسن تدبيره اموال خزانته ما جاء عنه من الاقوال في التاريخ انه كان ضابطاً لملكه ، واجتمع له من الاموال والخول والرقيق ما لم يملكه احد من ملوك الحيرة[2] . اما ميله الى العمران والبناء فقد خلّد ذكره بتشييد الخورنق والسدير ، وقد اسهبنا الكلام عنهما في فصل قصور الحيرة من كتابنا[3] ، فضلاً عن بنايات لم يذكرها المؤرخون نفترض قيامه بها نظراً الى نزعته الى الحضارة . ولكن مما يؤخذ عليه انه جازى معماره سنمار جزاء ظالماً عاتياً لا مبرّر له . فان صحت رواية المؤرخين في هذه الحكاية فانها وصمة شنعاء في تاريخه . ومع هذا لم يخلُ الرجل من شعور شريف حمله في آخر عمره على الاصغاء لصوت ضميره الحيّ ، فزهد في الدنيا والعرش واعتكف نادماً على هذه الجريرة وغيرها التي يسهل ارتكابها استبداد الملوك.

ولا بدّ من السؤال هنا متى غزا النعمان الشام ، وفي عهد ايّ ملك من ملوك الفرس والروم ؟ فالتاريخ ساكت عن هذا الموضوع . الا اننا نعالجه من ناحية اخرى تلقي نوراً ضئيلاً على البحث.

اذا دققنا النظر في زمان ملك النعمان نرى انه حكم ، على رواية ابن الكلبي ، تسعاً وعشرين سنة واربعة اشهر ، من ذلك في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد اربع عشرة سنة واربعة اشهر . ولا يختلف هذا القول عن المدة التي اثبتناها في صدر هذا المقال الا الشيء النزر[4] . فيبعد عن الظن ان النعمان غزا الشام في زمن يزدجرد الذي صافى الروم

---

١) كذلك.

٢) مجاني الادب ٣ : ٢٠٧

٣) في ص ٢٧ من مخطوطتنا فصل عقدناه في موضوع قصور الحيرة.

٤) الطبري ٢ : ٧٤

مدة ملكه ، لا بل ان امبراطور الشرق اركاديوس(١) ترك عند وفاته ابنه ثيودسيوس بحماية يزدجرد ، وعندما تبوأ ثيودسيوس الثاني عرش ملكه ارسل بعثة برئاسة ماروثا اسقف ميافارقين يبلغ وليه يزدجرد خبر تملكه . ونال ماروثا حظوة عند يزدجرد ، وبوساطته اصدر الملك مرسوماً سنة ٤٠٩ اثبت فيه حقوقاً لنصارى فارس . ووالى يزدجرد النصارى لا بل مال الى التدين بدينهم . غير انه رجع عن فكرته وعن سياسته الحسنى مع المسيحيين فاضطهدهم في السنوات الخمس الاخيرة من حياته اضطهاداً قاسياً ونكل بهم تنكيلاً فظاً ، ولكنه لم يحارب الروم . ولما تبوأ بهرام داوم اضطهاد المسيحيين حتى انهم هربوا جماعات جماعات ، والقوا بنفوسهم في حضن الدولة الرومية فطلب بهرام اعادتهم فرفض الروم طلبه فنشبت الحرب بين الفريقين في سنة ٤٢٠ ، ودامت سنتين دارت الدائرة فيها على الفرس . وعقد بهرام الصلح مع الروم سنة ٤٢٢ بشروط سمحاء(٢) . فنظن ان غزوات النعمان الشام كانت في ابان هذه الحرب ، ان لم يكن تفرد النعمان بغزوات اخرى حمل بها على قبائل العرب في الشام .

ومن حروب النعمان تلك الوقعة المعروفة في تاريخ العرب بواقعة يوم رحرحان . وكان سببها ان النعمان كان متزوجاً الى زهير بن قيس بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس العبسي لشرفه وسؤدده . فارسل النعمان الى زهير يستزيره بعض اولاده . فارسل ابنه شاساً . فاكرمه وحباه . فلما انصرف الى ابيه كساه حللاً واعطاه مالاً طيباً ، فخرج شاس يريد قومه . فبلغ ماء من مياه غني بن اعصر ، فقتله رياح بن الأشل الغنوي ، واخذ ما كان معه ، وهو لا يعرفه . فخرج زهير الى ديار غني ، وهم حلفاء في بني عامر بن صعصعة ، فاجتمعوا عنده فسألهم عن ابنه فحلفوا انهم لم يعلموا خبره . وانتهى الامر بقتال بين بني عبس وبني عامر . ثم ان زهيراً خرج في بنيه الى عكاظ ، فالتقى هو

١) Sykes : *His. of Persia*, I, 464-468

٢) الدكتور عزّام : الشاهنامة : حواشي ٢ : ٩٢ ؛ وسايكس ٢ : ٤٦٤-٤٦٨

وخالد بن جعفر بن كلاب وتشاجرا وعند عودتها الى اهلها سبق خالد زهيرًا واثار عليه هوازن. وتقاتل خالد وزهير وانجلى القتال عن قتل زهير. وكان زهير سيد غطفان، فخاف خالد المغبة. فسار الى النعمان بن امرئ القيس بالحيرة فاستجاره فاجاره[1] وضرب له قبةً. وكان قد اتى الى الحيرة في هذه المطاوي الحارث بن ظالم المري ارسلته غطفان الى النعمان بن امرئ القيس بهمة. فلما جنّ الليل دخل الحارث الى خالد وقتله في قبته غيلة[2] وهرب، فلحق بتميم واستجار بضمرة بن ضمرة الدارمي فاجاره على النعمان وهوازن. فلما علم النعمان ذلك جهّز جيشاً الى بني دارم[3] عليهم ابن الخمس التغلبي. وجمع الأحوص بن جعفر اخي خالد بني عامر[4] وسار بهم فاجتمعوا هم وعسكر النعمان على بني دارم؛ فعلم زرارة بن عدس، سيد بني تميم، باقبال بني عامر وعسكر النعمان فاعدّ قومه للنزال فتحارب الفريقان وانجلت المعركة عن قتل ابن الخمس التغلبي، رئيس جيش النعمان، واسرت بنو عامر معبد بن زرارة بن عدس. وانهزمت بعد ذلك بنو عامر وجيش النعمان وعادوا الى بلادهم، وبقي معبد اسيرًا مع بني عامر حتى مات[5].

وقد ذكر كل من الطبري[6] وحمزة الاصفهاني[7] ان النعمان بن امرئ القيس هو فارس حليمة، مع ان ياقوت الحموي[8] وابن الاثير[9] وغيرهما[10] نسبوا يوم

١) ابن الاثير ١: ٢٢٩ — ٢٢١

٢) ذكر ابن الأثير (١: ٢٢٢) ان القتيل كان شرحبيل بن الاسود بن المنذر، وكان الاسود قد ترك ابنه شرحبيل عند سنان بن ابي حارثة المري ترضعه زوجته. فأخذه الحارث ابن ظالم بحيلة وقتله واستجار ببني تميم. وقيل غير ذلك ان النعمان طلب شيئاً يغيظ به الحارث بعد قتل خالد فأخذ ابلًا من عياض بن ذهب التيمي، وهو صديق الحارث، ثم ان الحارث رأى غضبان بن النعمان فضرب رأسه بالسيف فقتله واستجار ببني تميم.

٣) بنو دارم بطن من بني حنظلة من تميم من العدنانية.

٤) بنو عامر بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانية

٥) ابن الاثير ١: ٢٢١.

٦) الطبري ٢: ٧٤

٧) كتاب سني الملوك ص٦٨

٨) معجم البلدان مادة «حليمة»

٩) الكامل ١: ٢٢٢

١٠) مجمع الامثال ١: ٢٢١ في مثل «اعزّ من حليمة» و٢: ١٥٠ في مثل «ما يوم حليمة بسرّ»

حليمة الى المنذر ابن ماء السماء . واجتزأنا بالالماع الى ذلك هنا ويأتي الكلام عن يوم حليمة في تاريخ المنذر الرابع الملقب الاسود الثاني ابن المنذر الثالث.

وكان للنعمان الاكبر منزلة رفيعة في بلاد فارس وشأن عظيم في قصر الاكاسرة ، فدفع له يزدجرد الاثيم ابنه بهرام جور للرضاعة والتربية في ظهر الحيرة لانه لم يكن يعيش له ولد[1] واعطاه رتبتين الواحدة« رام أبروذ يزدجرد» وتأويله زاد سرور يزدجرد والأخرى « بيهشت » ومعناه اعظم الحول ، وامر له بصلة وكسوة بقدر استحقاقه لذلك بمنزلته[2].

فقام النعمان الاول بتربية بهرام جور واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات اجسام صحيحة واذهان زكية وآداب مرضية من بنات الاشراف ، منهن امرأتان من بنات العرب ، وامرأة من بنات الفرس فتداولن رضاعه ثلاث سنوات وفطم في السنة الرابعة. واذ اتت له خمس سنين احضر له مؤدّبين من فقهاء الفرس ، ومعلمي الرمي والفروسية ، ومعلمي الكتابة ، وحكماء من حكماء فارس والروم ومحدثين من العرب[3].

---

١) الطبري ٢ : ٧٣

٢) لا بُدَّ لنا من الالماع هنا الى ان الطبري بعد ان ذكر ان النعمان الاول تعهّد بتربية بهرام جور ، وان النعمان هذا بنفسه حكم ١٤ سنة في عهد بهرام جور ، رجع الى قول العلماء من الفرس ان ابنه المنذر الاول ربّى بهرام جور وعاونه في استرجاع ملك آبائه الاكاسرة واليه عهد بهرام جور بالرتبتين المذكورتين ونسب الى ابيه النعمان الاول (راجع تاريخ الطبري ٢ : ٧٤) فاقتضى التنبيه . وفي الشاهنامه (الترجمة العربية ٢ : ٧٥) ان يزدجرد عهد بتربية ابنه الى المنذر فحمله وانصرف به الى بلاد اليمن (كذا) . وقال كليمان هوار في كتابه الفرنسي «تاريخ العرب» ان النعمان الاول نال لقب قائد «Général» من الفرس (١ : ٦٥) ومما قال هناك انه من المحتمل ان تتخذ سنة ٤١٨ م ختام ملك النعمان وقبل دي پرسفال هذه السنة ختام حكم النعمان ايضاً . ولمّا كان جلوس بهرام سنة ٤٢٠ فالمرجح يكون النعمان حتماً على هذا الحساب . اما الملك الذي عاون بهرام جور لاسترداد عرش الاكاسرة فلا يزال البتّ في اسمه موقوفاً على ايجاد نصوص جديدة .

٣) الطبري ٢ : ٧٤ ، وفي الشاهنامه (الترجمة العربية ٢ : ٧٥) اختار له اربع نسوة ذواتِ اجسام صحيحة وانساب صريحة واذهان زكية وآداب مرضية اثنتان منهن من بنات أشراف العرب ، واثنتان من بنات اكابر العجم

ولما مات يزدجرد كان بهرام غائباً عن بلاده يقضي اوقاته في بلاد العرب بالتنعم والتلذذ. واراد الفرس ان يقيموا عليهم ملكاً رجلاً اسمه كسرى من عترة اردشير بن بابك، زهدًا في ولد يزدجرد، ولان بهرام متأدب بأدب العرب. فالتجأ بهرام الى النعمان[1] يطلب نجدته فجهز النعمان عشرة آلاف رجل من فرسان العرب، ووجّههم مع ابنه[2] الى طيسبون[3] وبهاردشير[4] مدينتي الملك وزاد عدد هؤلاء الفرسان الى ثلاثين الفاً، وتمكن بهرام جور بعون النعمان من استرداد ملك ابيه، وحفظ هذه العارفة مدى حياته الى آل نصر.

وروى ابو الفرج الاصبهاني[5] عن معاملة النعمان الاكبر سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس لمّا رأى فصاحته مما لم يحمد عليه النعمان فانه امر وصيفاً له فلطمه وانما اراد ان يتعدّى في القول فيقتله فقال له: ما جواب هذه؟ قال سعدٌ: «سفيه مأمور» فقال النعمان للوصيف الطمه أخرى فلطمه. فقال: ما جواب هذه؟ قال: «لو نهي عن الاولى لم يعد الاخرى» فقال النعمان للوصيف: الطمه أخرى ففعل. فقال له: ما جواب هذه؟ قال: «ملك يؤدّب عبده». فقال: الطمه أخرى ففعل. فقال ما جواب هذه؟ قال «ملكت فأسجح». فقال له النعمان: اصبت فاقعد. فمكث عنده ما مكث.

ثم بدا للنعمان ان يبعث رائدًا يرتاد له الكلأ فبعث عمرو بن مالك اخا سعد بن مالك فأبطأ عليه فاغضبه ذلك. فاقسم ان جاء حامدًا او ذامًّا ليقتله. فلما قدم عمرو على النعمان دخل عليه والناس عنده، وسعد قاعد لديه مع الناس، وقد كان سعد عرف بما اقسم به النعمان من يمينه فقال سعد: أتأذن لي ايها الملك فاكلمه؟ قال: ان كلمته قطعت لسانك. قال: فاشير اليه. قال: ان اشرت اليه

---

١) نذكر مرة أخرى ان الطبري يذكر في هذا الموقف المنذر بن النعمان الاول وكذلك الشاهنامه(٢: ٧٩) تقول المنذر والنعمان، وهذا النعمان هو ابن المنذر وليس اباه

٢) يذكر الطبري مع ابنه النعمان كما بينا

٣) طيسبون او طيسفون وهي مدينة كسرى التي فيها الايوان، ولا تزال آثاره ماثلة حتى اليوم

٤) وهي مدينة بهاردشير وعرفها العرب «بهرسير» كانت في غربي دجلة تجاه الايوان

٥) الاغاني ٢١: ١٢٢و١٢٤

قطعت يدك. قال: فأومي اليه ؟ قال: اذاً انزع حدقتك. قال: فأقرع له العصا ؟ قال: وما يوريه ما تقول العصا فاقرع له. ففعل سعد وافهم اخاه ان لا يحمد ولا يذم الخصب فتكلم حينئذٍ عمرو وقال للنعمان: لم اذمم جدباً ولم احمد خصباً، الارض مشكلة لا خصبها يعرف ولا جدبها يوصف، رائدها واقف ومنكرها عارف وآمنها خائف. وقال له النعمان: اولى لك بذلك نجوت. فنجا، وهو اول من قرعت له العصا[1].

قد ذكرنا تنصر النعمان في الفصل الذي عقدناه في كتابنا عن اديان اهل الحيرة[2]. ونطرق الآن موضوعاً آخر وهو معاملته المسيحيين قبل تنصره. ذكر احد المحدثين[3] ان فتنة حدثت في الحيرة بين الوثنيين والمسيحيين سنة ٤٢٠. فانتصر النعمان للمسيحيين وحمى النصارى، وكان هو على الوثنية يومئذ. على اننا نجهل دواعي هذه الفتنة اذ لم يذكرها الراوي، والراجح انه يريد الالماع الى الاضطهاد الفاجع الذي اثاره بهرام جور على المسيحيين في بلاد فارس في تلك السنة عينها، فاضطروا الى الهجرة الى بلاد الروم كما مرّ بنا قبيل هذا، او انه اراد بذلك ما ذكره المؤرخ قزما الكاهن[4] وهو ان ملك الحيرة الذي دعاه النعمان (وهو النعمان الاول الذي يسميه العرب السائح والاعور[5]) امتعض من رحلة اهل الحيرة الى القديس سمعان العمودي، فاعلن بأمر ملكي انه ينهي تحت عقاب الموت الخروج الى زيارة السائح. فما انتشر هذا الخبر حتى استولى الخوف على رعاياه فرأوا ان الطاعة لهذا الحكم الظالم اولى من التعرّض للموت الاحمر. الّا ان الملك لم يلبث ان ندم على ما فعل لحلم رآه في الليل فجمع حاشيته والغى حكمه امامهم، وحضّ شعبه ان يذهبوا الى القديس

٥

١) الاغاني ٢١: ١٢٢ – ١٤٤

٢) نشر هذا الفصل في مجلة «النجم» الموصلية، عدد سبتمبر ١٩٣٢

٣) علي ظريف: تاريخ ملوك الحيرة، ٢٣

٤) النصرانية وآدابها، ٨٣ وقال كليمان هرار في «تاريخ العرب» (١: ٦٥) النعمان الاول هو الذي اجاز سمعان العمودي ان ينشر النصرانية في بلاده

٥) راجع كوسن دي پرسڤال: تاريخ العرب قبل الاسلام ٢: ٥٤

كيفما شاؤوا . واردف قزما المؤرخ قائلاً : وهذا الخبر رواه احد قواد النعمان المسمى انطيوخس بن سالم ، وكان قد سمعه من فم النعمان . ومذ ذلك الحين أطلقت الحرية لعرب الحيرة ان يدينوا بالنصرانية . ثم قال : والملك النعمان كان يريد بعد ذلك ان يتنصر ويزهد بالدنيا ، ولكنه خاف من سطوة ملك الفرس . وذكر السمعاني[١] ان النعمان هذا بشفاه القديس سمعان من داء اصابه فتنصّر .

كيف انتهت حياة هذا الملك الحازم ؟ قالوا[٢] لما اتى على الملك النعمان ثلثون سنة علا مجلسه على الخورنق واشرف منه على النجف وما يليه من النخل والبساتين والجنان والانهار مما يلي المغرب ، وعلى الفرات مما يلي المشرق ، فاعجبه ما رأى في البرّ من الخضرة والنور والانهار الجارية ، وفي الفرات من الملّاحين والغوّاصين ، وفي الحيرة من الاموال والخول ، ومن يموج فيها من رعيته ففكر وقال في نفسه[٣] : اي دراك في هذا الذي ملكته اليوم ويملكه غداً غيري ، فبعث الى حجابه ونحاهم عن بابه . فلما جن عليه الليل التحف بكساء وساح في الارض فلم يره احد .

وجاء في كتاب النصرانية وآدابها ص ٨٢ : «فان المؤرخين قد رووا ان النعمان الاعور بعد سنين من ملكه اجتمع بأحد النساك الصالحين المدعوّين بالرابطة فزهّده بالعالمية ودعاه الى ترك الدنيا وعبادة الله فلبى الملك دعوته ولبس معه المسوح وساحا في الارض زهداً[٤] . وليس هؤلاء الرابطة على رأينا سوى رهبان النصارى الذين بيّنا لك وفرة عددهم في جهات العراق وزهدهم في العالم.» (انتهى كلام المؤلف).

---

١) المكتبة الشرقية ١ : ٢٤٧

٢) حمزة الاصفهاني ٦٨

٣) وقيل نبهه احد وزرائه او احد حكمائه على زوال الدنيا (الطبري ٢ : ٧٢ ومجاني الادب ٣ : ١٦)

٤) احال الاب شيخو مؤلف كتاب النصرانية وآدابها الى المؤلفين العرب ومنهم الطبري طبعة ليدن ١ : ٨٤٥ ، في هذه الرواية .

والذي نلمع اليه ان مؤلف « النصرانية وآدابها » ارتأى ان الرابطـة هم رهبان النصارى . مع ان ابا الفرج الاصبهاني[1] يصرّح بان الحيريين اطلقوا اسم «الرابطة» على الوضائع التي كانت بالحيرة مع الملوك ، وايد هـذا القول ابن رشيق[2] في ذكره يوم شعب جبلة. اما الوضـائع فهي كتيبة من كتائب ملوك الحيرة قال عنها الميداني[3] كانوا الف رجل من الفرس يضعهم ملك المـلوك في الحيرة نجدة لملك العرب وكانوا يقيمون سنة ثم يأتي بدلهم الف وينصرف اولئك وقال ابن الاثير[4] الوضائع كانوا شبه المشائخ.

والى زهد النعمان هذا وتنسكه اشار ، بعد عهدٍ طويل ، عدي بن زيد في شعرٍ خاطب به النعمان ابن المنذر فقال[5]:

وتفكّرْ ربُّ الخورنق ، إذ أشـ ـرف يوماً وللهدى تبصير ،(٦
سَرَّهُ حالُه وَكَثْرَةُ ما يـ ـملكُ والبحر مُعرِضاً والسدير ،
فارعوى قلبه فقال: وما غبـ ـطةُ حيٍّ الى المات يصيرُ ؟
ثمَّ بعد الفلاح والمُلْكِ والأمّـ ـةِ وارتهمُ هناكَ القبورُ ؟
ثمَّ اضحوا كانهم ورق جـ ـفَّ فألوَتْ به الصبا والدبورا

١) الاغاني ١٠ : ٢٢
٢) العمدة ٢ : ١٦٦
٣) مجمع الامثال ١ : ٧٨ في تفسير المثل «ابطش من دوسر»
٤) الكامل ١ : ٢٦٨
٥) الطبري ٢ : ٧٤ ؛ وابن الاثير ١ : ١٦
٦) ويروى : تفكير

(له صلة)

الطقوس والطوائف

في

الكنائس الشرقية

للابوين يوسف موغان وفرديناند توتل اليسوعيين

٢

الطقوس والطوائف

في كنيسة الله طقوس عديدة شرقاً وغرباً ، وهي ، على تنوّع رتبها وانظمتها متفقة اجمالاً على مبدأ وحدة الولاية الكنائسية في بقعة ارض واحدة. وهذا المبدأ عريق القدم في تاريخ الدين المسيحي يرقى عهده الى ايام الرسل ، ويقول بوجوب وجود اسقف واحد في اسقفية او ابرشية واحدة ، ضمن حدود مقاطعة ارضية واحدة . وقد حافظ المسيحيون في العصور القديمة اشدّ المحافظة على ذلك المبدأ حتى القرون الوسطى. وكانت وحدة الولاية تضمن وحدة الطقس.

واننا اذا القينا نظرةً ، ولو سطحية ، على احوال الطقوس في بلادنا الشرقية نرى انها قطعت بوناً شاسعاً بين حالتها كما كانت عليه في العصور الخوالي وحالتها اليوم ، وقد تفرّعت وتطورت ونشأت منها كنائس مستقلة وطوائف وملل . فكثير منها لها نظام اكليروس قد يكون كاملاً في الغالب . ومنها التي لها بطاركتها واساقفتها وكهنتها كالطقس او الطائفة الملكية والمارونية والارمنية والكلدانية والسريانية. ومنها التي ليس لها بطارك ولكن اساقفة وكهنة فقط كالكنيسة البيزنطية او اليونانية الكاثوليكية والكنيسة الروثانية والكنيسة الرومينية وغيرها . ومنها التي ليس لها بعد اساقفة ، ولكن كهنتها ومؤمنوها يخضعون لاسقف من غير طائفة كالكنيسة الكرجية .

وليس لهذه الكنائس المتمتعة كل منها بولايتها الخاصة بقعة من البلاد محددة مختصة بها دون غيرها من الكنائس . بل هناك كنائس تنفذ حقوق ولاياتها في بقعة ارض مشتركة بينها وبين غيرها ، ونفوذها انما هو في الاشخاص

المنتمين اليها لا سواهم.

كيف تمّ ذلك التمييز، وكيف تثبتت ولايات عديدة في ارض واحدة؟ قال حضرة الاب كيرلس شارون في كتابه تاريخ البطاركة الملكيين(٣: ٤٢٤): «ان مسألة الولايات هي من اشكل المشاكل المتاص حلها على دارسي مؤسسات الشرق الكنائسي. فان مدينة واحدة تعدّ في حين من الاحيان سبعة او ثمانية اساقفة رؤساء جميات دينية وكلهم كاثوليكيون، غدا الاساقفة المنفصلين المنتمين الى الارثوذكسية، او المونوفيسية الخ... ان اشتباكاً كهذا لم يكن منذ البدء».

مضى الاب شارون ينقّب على الحوادث التي ادّت بالكنيسة الى الحالة الحاضرة ويحلّل اسبابها وقد افادتنا شروحه كثيراً.

ان فكرة الوحدة الاسقفية في ابرشية واحدة ضمن بقعة واحدة هي صوابية وموافقة كل الموافقة تقاليد الكنيسة. لكنها، على العهد الصليبي، صارت سبباً لمناقشات ومنازعات وقعت في مصافّ الاكليروس وهو يتباعد يوماً فيوماً عن روح الوحدة الكنائسية.

كان للشرق البطريرك الانطاكي يوحنا الخامس؛ وكان للصليبيين اساقفتهم، يقيمونهم اكليرساً لاتينياً، اينما حلّوا، ليستطيعوا ان يحكموا البلاد في الروحيات، كما كانوا يقيمون موظفين في الاقطاعات ليحكموا البلاد في الزمنيات، وهم اصحاب الفضل على الاراضي المقدسة ولولاهم لأُبيد مسيحيو الشرق عن بكرة ابيهم. فاصبح الاكليرس الشرقي كالمساعد للاكليروس اللاتيني، ذلك ما ادّى الى احتكاكات وتوترات بين الفريقين. ونشأت فكرة حقوق الاساقفة اللاتين على الكنيسة اليونانية، وادّى الامر الى ازدواج السلطة الكنائسية حيث وُجد اسقفان احدهما يوناني والثاني لاتيني. على ان ذلك الازدواج لم يكن الا حادثاً سيّاراً، ولم يكن قاعدةً لحق شرعي قانوني؛ وكلام البابا انشنس الثالث، سنة ١٢٣٨، في شأن السلطة المزدوجة معلوم من العموم قال: يجب ان لا يكون رأسان لبطريركية واحدة.[١]

١) راجع تاريخ سورية المخطوط، للمرحوم الاب بوفّيه اليسوعي ٢: ص ١٣١ في خزانة المكتبة الشرقية.

ولكن في السنة ١٢٥٢ الجأت الظروف الكردينال اود دي شاتيليون ، المندوب البابوي ، الى اقامة متروبوليت يوناني في قبرس على امل حل المشاكل الواقعة بين الاساقفة اللاتين والاساقفة اليونان في تلك الجزيرة ، فظهرت فيها الولايتان في الامر الواقع . وفي السنة ١٢٥٠ ارسل البابا انشنسيوس الرابع رسالة وافق فيها على اقامة الولايتين في قبرس ، فأقرّ مبدئياً حقوق وجودهما . ورسالته تلك لم تزل الى يومنا اساس التشريع الموضوع لتدبير شؤون الكاثوليك المنتمين الى الطقس البيزنطي ، القاطنين البلاد اللاتينية .

ولم يأتِ ازدواج السلطة باديء ذي بدء بالنتيجة المنشودة لان الآراء كانت متباعدة والقلوب متنافرة ، فما كانوا ينتهون من حلّ مشكل الّا وقعوا في غيره . ودُفعت الى البابا اسكندر الرابع دعاوٍ لم تترك مجالًا لابقاء الولايتين ، فالغيت احداهما . ولم يكن الصليبيون طرًّا متقادين بنيّات صالحة في جميع اعمالهم ، وكان بصحبتهم جماعة من شذاذ القوم غير محنكين في السياسة والتدبير . فكرههم اليونان ، وقاوموهم . وفي السنة ١٥٧١ فتح الاتراك جزيرة قبرس ، ففرح القبرسيون لقدومهم ساعةً ، لكنهم عادوا يحرقون الارم دهرًا على تفريطهم بمقاومة اللاتين ومعاندتهم اياهم ، واللاتين مسيحيون ، ونيرهم اخفّ ثقلًا من نير المسلمين .

وتطوّرت الافكار ، وتغيرت الاحوال ، ورأوا في الغرب ان مبدأ الوحدة الاسقفية والولاية في بقعة واحدة لامر تستحيل المحافظة عليه بين قوم يتناظرون شزرًا . فتعددت الولايات والبطريركيات مع انفصال الكنائس عن الايمان الكاثوليكي وارتدادها الى وحدته . ومع هذا التطوّر تعددت ولايات الكرسي الانطاكي .

ومن الازدواج الى تعدد الولايات المسافة قريبة ؛ فانفتح الباب لاقامة اكثر من اسقف واحد على بقعة واحدة . ومن ثمّ ساد ذلك المبدأ الجديد على تكوين الكنائس الشرقية الكاثوليكية ، وانتج الابرشيات العديدة في البقعة الواحدة كما نرى ذلك اليوم في كثير من مدن الشرق . اما اصول المبدأ في الولاية المزدوجة فهذه هي :

لكل اسقف ولاية ارضية وقومية : ارضية بكونها ممتدة الى حدود لا

تتجاوزهـا ، وقومية بكون الاسقف لا يتصرف بها قانونياً الا على الاشخاص المنتمين لقومه. ولكل ولاية حدودها الجغرافية الخاصة بها دون غيرها . والمثال في ذلك ابرشية بيروت فان حدودهـا للمتروبوليت الملكي غير حدودها للمطران الماروني .

وليس دخول مبدأ الولاية المزدوجة مما يناقض قوانين المجامع كالنيقـاوي الاول والخلقدوني واللاتراني التي حرمت اقامة اسقفين على مدينة واحدة لان ذلك التحريم هو من الحق الوضعي ، فكان بوسع البابا ان يفسح في امره ويقيم ولايتين كنائسيتين في اقليم واحد .

٣

من الطقس الى الطائفة الى القومية

دخل مبدأ الولاية المزدوجة فنشأت منه الكنائس وتعددت . ولما فتح العرب البلاد المصرية والسورية ، ومن بعدهم الاتراك بلاد الاناضول وبيزنطية ، اقروا على رعاياهم الذميين رؤساءهم الدينيين ، وخولوهم بعض الحقوق الادارية المستقلة في شؤونهم الشخصية ديناً ودنياً . وكان في السابق التشريع اليوستينياني قـد ضمن لاساقفة المملكة البيزنطية بعض الحقوق الزمنية المدنية التي من دأبهـا صيانة الحرية الدينية ، فلم يحدث الفـاتحون المسلمون جديداً في تأييد تلك الشرائع . ولكن لما وافق ظهورهم ظهور تعدد الطقوس او الطوائف والولايات الكنائسية في المملكة العثمانية خولوا بطاركة تلك الطوائف حقوقاً وامتيازات جعلتهم اشبه بالزعمـاء لقومية مستقلة ، فكانت وما زالت التشريعات العثمانية اساساً لمـا يدعونه الطائفية القومية ، في بلادنا . وقد يمتزج تاريخ الطوائف في القرون الاخيرة بتاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها مع الافرنج ومنحها عند طلب هؤلاء والحاحهم الفرمانات السلطانية المثبتة حقوق ذلك البطريرك او غيره ، تارةً على هذه الطائفة وطوراً على غيرها ، وفي الغالب كان تحرير البطاركة والطوائف نتيجة جهود السفارات واخصها السفارة الافرنسية وسعيها .

ابن عبد ربه و«عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٣

كتاب «العقد»

اسمه

نسميه بالعقد ، خلافاً لما هو معروفٌ عند اكثر ادبائنا في هذا العصر ، وخلافاً لما ورد في مقدّمة الكتاب نفسه — في الطبعات التي بين ايدينا — حيث نرى « فجعلت (الضمير يعود الى صاحب العقد) هذا الكتاب كافياً جامعاً . . . وسميته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة المسلك وحسن النظام »[١] . نسميه بالعقد لاننا نظن ان نعته بالفريد هو امر متأخر[٢] ، ليس من التسمية الاصلية التي وضعها ابن عبد ربه في شيء . ولعلنا ننصف ابن عبد ربه اذا اظهرنا خلوّ التسمية الاصلية من هذا النعت . ودليلنا في هذا الامر هو ان جميع المصادر الاولية التي بين ايدينا ممّا يذكره لا نرى العقد فيها منعوتاً بالفريد : فالضبي يذكر ابن عبد ربه ويقول : « وله الكتاب الكبير المسمى كتاب العقد في الاخبار »[٣] . ويذكره القيرواني في رسالته اعلام الكلام فيقول : « ومن تلك الجواهر نظم عقده وتركه لمن تجمل به بعده »[٤] . ويذكره الفتح

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٤

٢) لا بد لنا من ذكر ان اول من اشار الى ذلك هو بروكلمن . راجع مقاله المختصر عن ابن عبد ربه في [The Encyc. of Islâm, vol. II, p. 353]

٣) الضبي ١٢٧ ٤) القيرواني ٢٦

فيقول: «وله التأليف المشهور الذي سمّاه بالعقد، وحماه عن عثرات النقد.»[1] ويذكره ياقوت الرومي فيقول: «وهو صاحب كتاب العقد في الاخبار.»[2] ويذكره في موضع آخر فيقول: «وبلغني ان الصاحب بن عبّاد سمع بكتاب العقد»[3] ويذكره ابن صاعد الاندلسي في كتابه طبقات الامم عند ذكر ابن اخيه الطبيب سعيد فيقول: «وهو ابن اخي احمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر صاحب العقد»[4]. ويذكره ابن خلكان فيقول: «وصنف كتابه العقد وهو من الكتب المتعة».[5] ويذكره الشيخ ابو العباس القلقشندي في كتابه صبح الاعشى ويقول عنه «صاحب العقد»[6] وفي موضع آخر: «هذا ما ذكره ابن عبد ربه في العقد»[7] ويذكره المقري كثيرًا ويقول عنه «صاحب العقد».[8] وفي رسالة القيرواني التميمي ابي علي الحسن بن محمد الى عبد الوهاب بن حزم عبارة: «كما تلقوا ديوان احمد بن عبد ربه الذي سمّاه بالعقد»[9]. ويذكره ابن ابي اصيبعة في كتابه عيون الانباء في طبقات الاطباء وينعته بالشاعر ثم يقول عنه «صاحب كتاب العقد»[10]. ويتصدّى لذكره ابن خلدون في مقدمة تاريخه بمناسبة بحثه عن موشحات الاندلس فيقول: «ابو عبد الله احمد بن محمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد.»[11] ولم يفت حاجي خليفة ان يذكر العقد في كتابه كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون ولقد

---

١) ابن خاقان ٥١
٢) ياقوت ٢: ٦٧
٣) ياقوت ٢: ٦٧
٤) ابن صاعد ٧٦
٥) ابن خلكان ١: ٤٥
٦) طبعة المطبعة الاميرية بالقاهرة، ١٩١٦، ٩: ٢٦٣، وفي ١: ٢٩٢ «في كتاب العقد»
٧) طبعة المطبعة الاميرية بالقاهرة، ١٩١٦، ١٠: ١٩٤
٨) المقري ٢: ٧٨١ و٨٢٣ و٤: ٦٠٧، وطبعة اوربة ٢: ٩٠
٩) المقري ٢: ٧٦٧، وطبعة اوربة ٢: ١٠٩
١٠) ابن ابي اصيبعة ٢: ٤٤
١١) ابن خلدون ٥٤٠ – وسنعرض لكلام ابن خلدون والكنية التي ذكرها لابن عبد ربه عند بحثنا عما اذا كان ابن عبد ربه نظم الشعر الموشّح ام لا.

دوّن اسم الكتاب هكذا «عقدُ لأبي عمر»[١]، ونقل شيئاً من مقدمة الكتاب فيه الاسم خالياً من النعت «الفريد» كما سترى. بقي مصدر واحد هو المستطرف في كل فنّ مستظرف ذكر فيه الابشيهي انه نقل عن كتاب ابن عبد ربّه «العقد الفريد» واورد العبارة بحيث لا نرى داعياً لان نظن ان كلمة الفريد زيادة من الناشرين قال: «ونقلت كثيراً مما نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ورجوت ان يجد مطالعُه فيه كل ما يقصد ويريد»[٢].

ولا نستطيع الآن ان نعيّن بالضبط الوقت الذي اضيفت فيه كلمة «الفريد» لتنعت «العقد» كما واننا لا نكتم دهشتنا لظهورها بكل الطبعات التي بين ايدينا وعدم إشارة ناشري هذه الطبعات الى هذا الامر[٣]. ولم تشر لجنة فهارس دار الكتب المصرية بشيء الى امر التسمية عند ذكرها وصف قطع النسخ الخطية من الكتاب المذكور[٤]، لاسيما واننا نرى ان حاجي خليفة ينقل قول ابن عبد ربه من نسخة خطية للعقد يظهر انه لم يكن فيها العقد منعوتاً «بالفريد»: «الفت هذا الكتاب وتخيّرت نوادره من متخيّر جواهر الادب ومحصول جوامع البيان وسميته «بالعقد» لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة المسلك وحسن النظام»[٥].

وكنا نودّ لو اتيح لنا الاطلاع على النسخ الخطية في مختلف المكاتب ءانّا نستطيع ان نكشف منها وقت زيادة «الفريد». ومهما يكن من امرها فانّا نظنّ ان التسمية «العقد الفريد» لم تعرف قبل تأليف الوزير الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ[٦] للكتاب المعروف «بالعقد الفريد للملك السعيد» وربما اخذت تعرف زمن الابشيهي المتوفى بعد ٨٥٠ هـ[٧] وان لم يكن الابشيهي اول من

---

١) حاجي خليفة ٢: ١٢٤ ٢) الابشيهي ١: ٢

٣) ابن عبد ربه ١: ٤ وراجع طبعة المطبعة الجمالية بمصر، ١٩١٣، ١: ٤، وطبعة المطبعة الشرقية بمصر ١٣٠٥ هـ ١: ٢

٤) فهرس الكتب العربية الموجودة في دار الكتب المصرية ٣: ٢٥٢ و ٢٥٣

٥) حاجي خليفة ٢: ١٢٤

٦) راجع بشأن وفاته حاجي خليفة ٢: ١٢٤

٧) راجع [Brockelmann [The Encyc. of Islâm, vol. II, p. 443

نعت عقد ابن عبد ربه بهذا النعت فهو على الاقل اقدم رجل، فيما نعلم، ذكر هذا النعت للعقد. ومن الخير ان نلاحظ ان حاجي خليفة قد تأخر عن الابشيهي بنحو مئتي سنة وقد اورد اسم الكتاب دون هذا النعت[1]. اما البغدادي، صاحب خزانة الادب، المتوفى آخر القرن الحادي عشر فقد جارى الابشيهي بنعت الكتاب بالفريد.[2]

وصفه

تأليف مقسّم على عدة فنون في خمسة وعشرين كتاباً انفرد كل كتاب باسم جوهرة من جواهر العقد، بحيث يقع على كلٍّ من جانبي واسطة العقد اثنتا عشرة جوهرة كل منها سمّيت باسم التي تقابلها من الجانب الآخر. وبذلك تكون اولى جواهر العقد واخراه على اسم واحد: ففي العقد لؤلؤتان وزبرجدتان وياقوتتان وجمانتان وهلم جرّاً. ولعل من الخير ان نوضح ذلك بصورٍ بسيط.

تجزيئه

قال ابن عبد ربه في مقدمة عقده «وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً كل كتاب منها جزآن فتلك خمسون جزءاً في خمسة وعشرين كتاباً».[3] غير اننا اذا رجعنا الى النسخ المطبوعة نرى انه قد اهمل فيها ذكر الاجزاء في مواضعها، او الاشارة الى اوائلها او اواخرها في كل كتب العقد، لا نستثني الا كتاب الياقوتة في العلم والادب. فانّا نرى فيه، في آخر باب ردّ المأمون على الملحدين واهل الاهواء، عبارةً هي: «انتهى النصف من كتاب الياقوتة في العلم والادب ويتلوه باب من اخبار الخوارج».[4] وهناك زيادة الحقت بآخر هذا النصف الاول وجدت في بعض النسخ ونرى في آخر هذه الزيادة عبارة هي: «بقية الياقوتة في العلم والادب».[5]

---

١) حاجي خليفة ٢: ١٢٤

٢) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، الطبعة الميرية بمصر ١٢٩٩ هـ، وراجع بشأن سنة وفاته Mordtmann [The Encycl. of Islâm, II, 205]

٣) ابن عبد ربه ١: ٤   ٤) ابن عبد ربه ١: ٢٥٦

٥) ابن عبد ربه ١: ٢٦٠

ولقد استغربنا وقوع هذا الاختلاف بين ما دوّن في المقدمة من امر تجزئة كل كتاب الى جزئين وبين خلو الكتب من هذه التجزئة، فعدنا الى وصف قطع النسخ الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية، فظهر من هذا الوصف ان ترتيب الاجزاء في النسخ الخطية لا يوافق المقول المدوّن في مقدمة العقد، ذلك اننا رأينا في وصف قطعة انها تشتمل على الجزء الخامس عشر والسادس عشر واول ما فيها من اثناء تبرى علي بن ابي طالب من دم عثمان من فنّ كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم، وتنتهي الى اثناء اخبار الطالبيين من كتاب اليتيمة الثانية في اخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة[1]. والجوهرتان هاتان العسجدة الثانية واليتيمة الثانية انما هما الكتاب الخامس عشر والكتاب السادس عشر من كتب العقد واذن فاجزاء هذه المخطوطة انما هي بعدد كتب العقد.

وهناك قطعة خطية اخرى من العقد تبدأ من فن العسجدة الثانية وقد اشارت لجنة نشر فهارس الكتب العربية الى انها الجزء الثاني من نسخة اخرى من العقد[2] مما يدل ان العقد في هذه النسخة قد قسم الى اجزاء قليلة بحيث وقعت هذه الاخبار في الكتاب الخامس عشر في الجزء الثاني من هذه النسخة.

وهناك اشارة عن قطعة خطية اخرى الى انها الجزء السابع من العقد وتبتدئ من فرش كتاب العلم والادب[3]. ونحن نعلم من مقدمة العقد وترتيب كتبه ان كتاب العلم والادب هو الكتاب السادس. وسمّيت قطعة اخرى بالجزء السابع وذكر انها آخر اجزاء الكتاب وفي اولها باب الطلاق من كتاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهم[4] (كذا) وهو الكتاب الواحد والعشرون بحسب الترتيب المذكور في العقد.

وكم كنا نود لو كانت هذه القطع الخطية، او غيرها من نسخ العقد الخطيّة

١) فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية ٣: ٢٥٢
٢) فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية ٣: ٢٥٢
٣) فهرس الكتب العربية ٣: ٢٥٢
٤) فهرس الكتب العربية ٣: ٢٥٢

الموجودة في المكاتب المختلفة ، بين ايدينا او في متناولنا علّنا نستطيع منها ان تزيل شيئاً من هذا الاضطراب او نظهر بعض الاسباب التي دعت الى هذا الاختلاف الذي ذكرناه .

واذا عرضنا لحجم كتب العقد الخمسة والعشرين من حيث عدد الصفحات نرى ان كل كتاب منها يقع في ما بين الثلاثين والخمسين صفحة الّا كتابين هما كتاب الياقوتة في العلم والادب الذي ذكرنا انه مقسّم الى جزئين وهو يقع في نحو ١٣٠ صفحة ، وكتاب الخلفاء وتواريخهم وايامهم ويقع في نحو ١٣٠ صفحة ايضاً .

ولنذكر هنا ان ناشري الطبعات التي بين ايدينا قد جزّأوا العقد الى ٣ اجزاء فقط ، الّا الطبعة الازهرية فان العقد فيها قد جزّئ الى ٤ اجزاء .

كل هذا يظهر ان ما بين ايدينا من العقد لم يجزّأ على الطريقة التي وصفت في مقدمة العقد . فلنحفظ هذا الى حينه اذ سنعرض للامر نفسه بمناسبة أخرى[1]

ابحاثه

يتبين من عناوين الكتب التي يضمها العقد شيء من الابحاث التي يدور عليها ، فهو يبحث في السلطان وسياسته ، والحروب ومدار امرها ، والامثال والمواعظ ، والتعازي والمراثي ، وكلام الاعراب وخطبهم وانسابهم وعلمهم وادبهم ، ومخاطبة الملوك واخبار الوفود ، وايام العرب ، واخبار الخلفاء وتاريخهم ، والنساء وصفاتهن ، وطبائع الانسان ، والطعام والشراب ، واعاريض الشعر وعلل القوافي وغير ذلك ؛ وفي كتاب السلطان مثلاً يذكر ابن عبد ربه اخباراً عن اختيار السلطان لاهل عمله وحسن السياسة واقامة المملكة وبسط العدالة وردّ المظالم وصلاح الرعية وحزم السلطان وعزمه والتعرض له والردّ عليه وحلمه وغضبه وحجّابه وقضاته الخ . ويذكر مع هذه الامور اخباراً تاريخية فيستشهد مثلاً بقصص عن عمر بن الخطاب ومعاوية ومروان وعمر بن عبد العزيز وابي جعفر المنصور من الخلفاء ، وزياد والحجاج وغيرهما من القوّاد والامراء . وكذلك

١) عند تصدينا لدرس ما دُسَّ على ابن عبد ربه في العقد .

شأنه في كل الكتب التي يضمها العقد ، فهو ينثر فيها فوائد تاريخية ثمينة نقلها عن المتقدمين . كما وان العقد مجموعة ادبية قيّمة ففيه منتخبات من الخطب والرسائل والامثال ، وفيه اشعار لعدد كبير من الشعراء ، وفيه اخبار عن بعضهم قد لا نجدها في غيره من المصادر .

غاية المؤلف من تأليفه والطريق التي سلكها في جمعه

ولعلنا ننصف ابن عبد ربه اذا دوّنا هنا الجزء الاكبر من مقدمة عقده ، فهي تظهر غايته من تأليف كتابه وطريقه التي سلك في جمع هذه الجواهر بسلك عقده . كما واننا سنرجع الى هذه المقدمة اكثر من مرة . قال:

« وبعد فان اهل كل طبقة ، وجهابذة كل امة ، قد تكلموا في الادب ، وتفلسفوا في العلوم على كل لسان ، ومع كل زمان . وان كل متكلم منهم قد استفرغ غايته ، وبذل مجهوده في اختصار بديع معاني المتقدمين ، واختيار جواهر الفاظ السالفين ؛ واكثروا في ذلك، حتى احتاج المختصر منها الى اختصار، والمتخيَّر الى اختيار . ثم اني رأيت آخر كل طبقة ، وواضعي كل حكمة ، ومؤلفي كل ادب ، اعذب الفاظاً واسهل بنية ، واحكم مذهباً ، واوضح طريقة من الاول ؛ لانه ناقض متعقب ؛ والاول بادٍ متقدم . فلينظر الناظر الى الاوضاع المحكمة ، والكتب المترجمة بعين انصاف ، ثم يجعل عقله حكماً عادلًا قاطعاً فعند ذلك يعلم انها شجرة باسقة الفرع ، طيّبة المنبت ، زكية التربة ، يانعة الثمرة ، فمن اخذ بنصيبه منها كان على ارثٍ من النبوة ومنهاج من الحكمة لا يستوحش صاحبه ولا يضلّ من تمسك به . وقد ألفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من متخيَّر جواهر الادب ومحصول جوامع البيان فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب وانما لي فيه تاليف الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدور كل كتاب . وما سواه فمأخوذ من افواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والادباء . واختيار الكلام اصعب من تأليفه ، وقد قالوا اختيار الرجل وافد عقله ، وقال الشاعر :

قد عرفناك باختيارك اذ كا … ن دليلًا على اللبيب اختياره

وقال افلاطون : عقول الناس مدوّنة في اطراف اقلامهم وظاهرة في حسن

اختيارهم . فتطلبت نظائر الكلام ، واشكال المعاني ، وجواهر الحكم ، وضروب الادب ، ونوادر الامثال . ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه فجعلته باباً على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره من كل باب . وقصدت من جملة الاخبار ، وفنون الآثار ، الى اشرفها جوهراً واظهرها رونقاً والطفها معنى واجزلها لفظاً واحسنها ديباجة واكثرها طلاوة وحلاوة ، اخذاً بقول الله تبارك وتعالى : « الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه[1] » . وقال يحيى بن خالد : الناس يكتبون احسن ما يسمعون ، ويحفظون احسن ما يكتبون ، ويتحدثون باحسن ما يحفظون ...... وحذفت الاسانيد من اكثر الاخبار طلباً للاستخفاف والايجاز وهرباً من التثقيل والتطويل ، لانها اخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الاسناد باتصاله ولا يضرها ما حذف منها ... وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة في فنون الاخبار ولا جامعة لجمل الآثار ، فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لاكثر المعاني التي تجري على افواه العامة والخاصة وتدور على السنة الملوك والسوقة . وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار في معانيها وتوافقه في مذاهبها . وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور . »

المصادر التي استند اليها ابن عبد ربه

ظاهر من هذه المقدمة التي نقلنا ان ابن عبد ربه يعترف بنقله اكثر اخبار العقد من افواه العلماء وكتبهم ، وان ما له فيه قليل لا يتعدى فرش دور الكتب وبعض النتف والاشعار . وظاهر ايضاً ان ابن عبد ربه يرى ان يهمل ذكر الاشخاص الذين اخذ عنهم ، او الكتب التي نقل عنها ، ويحذف الاسانيد من اكثر الاخبار التي ينقلها ، غير انه كان في بعض الاحيان يذكر اسماء بعض

١) القرآن : السورة ٣٩ (الزمر) الاية ١٩ : « والَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أن يَعْبُدُوها وأنابُوا إلى اللهِ لَهُمُ البُشْرَى فبشِّر عبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القولَ فيتَّبِعونَ أحْسَنَهُ أولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وأولَئِكَ هُمْ أولُوا الألبابِ . »

الكتب التي نقل عنها . فلنسعَ في ان نبحث عن المصادر التي استند اليها او الاشخاص الذين اخذ عنهم ، ولنبدأ بذكر ابن قتيبة:

ابن قتيبة

هو ابو عبد الله محمد بن مسلم الكوفي المروزي الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ [١] صاحب المؤلفات الكثيرة . وقد اخذ ابن عبد ربّه من مؤلفات ابن قتيبة اكثر مما اخذ من ايّ مصدر آخر . ولعل القارئ يذكر ما نقلناه عن تعظيم اهل المغرب له حتى انهم كانوا يتهمون من لم يكن في بيته من تأليفه شيء . ونخصّ بالذكر من مؤلفاته «كتاب عيون الاخبار» و«كتاب الاشربة» و«كتاب فضل العرب على العجم» . وقد ذكر ابن عبد ربه في بعض المواضع انه استند الى هذه الكتب واخذ عنها ففي الجزء الثاني الصفحة ٨٨ قال: «قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب واما اهل التسوية فانّ منهم قوماً» الخ . وبعد ان اورد خلاصة لردّ ابن قتيبة على الشعوبية وردهم عليه تعرض لنقده وقال : «ما رأيت اعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب انه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية فنقض في آخره كل ما بنى في اوله ، فقال في آخر كلامه: واعدل القول عندي ان الناس كلهم لاب وام خلقوا من تراب واعيدوا الى التراب» الخ .[٢] ورجع الى كتاب الاشربة فنقل عنه بعض أمور ذكرها في كتابه عن الطعام والشراب .[٣]

ورجع الى عيون الاخبار فسطا عليه وسلخ منه قطعاً كثيرة دون ان يشير الى مصدرها ، ونقل عنه ، فيما نرى التبويب والترتيب والتسمية (وقد امتاز ابن قتيبة عن الكثيرين من المؤلفين في زمنه بحسن تبويبه كتبه) . ونظرة الى عيون الاخبار والكتب التي ضمنها ثم مقابلتها بالكتب التي ضمّنها العقد تكفي لاظهار النقل . ومن الجميل ان نرى بعض هذه الآثار ؛ فقد استهل ابن عبد ربه عقده بكتاب السلطان وجعله اللؤلؤة الاولى ، كما استهلّ ابن قتيبة عيون الاخبار

١) Brockelmann *Ibn Kutaiba* [Encyclop. of Islâm, vol. II, p. 399]

٢) ابن عبد ربه ٢ : ٨٩ ٣) ابن عبد ربه ٣ : ٣٨٠ و ٤٠٩ — ٤١١

بكتاب السلطان . ولم يقتصر الامر على هذا فان الكتاب الثاني عند ابن عبد ربه هو كتاب الفريدة في الحروب والكتاب الثاني بعيون الاخبار هو الحرب . وتستطيع ان تنقل اية قطعة من كتاب السلطان في عيون الاخبار وتدسها في كتاب اللؤلؤة في السلطان من العقد دون ان يحدث تغيير في اسلوب الكتاب يستطيع القارئ ان يتبينه ؛ فالاسلوب واحد ، والنمط واحد ، والاخبار ، لولا قليل ، واحدة . ويكفي بهذه المناسبة ان تراجع الجدول الآتي ففيه ذكر لبعض المواضع التي نقل فيها الكلام ابن عبد ربه عن عيون الاخبار :

العقد			عيون الاخبار	
الجزء ١	٥	عن	الجزء ١	١٩
١	٥	〃	١	١٩
١	٦	〃	١	٢٠
١	٥	〃	١	٩٢
١	٩	〃	١	١٨
١	١٠	〃	٢	٩
١	١١	〃	١	١١
١	٢٦	〃	١	٢٧
١	٢٦	〃	١	٣٨
١	٢٦	〃	١	٤٠
١	٢٦	〃	١	٤٠
١	٢٦	〃	١	٤١
١	٣١	〃	١	٥٦
١	٣١	〃	١	٢٦

وهذا قليل من كثير مما ترى انه نُقل عن عيون الاخبار في كتاب السلطان فقط . فاذا تعدّيت هذا الكتاب الى غيره من الكتب التي ضمنها كل من العقد وعيون الاخبار ككتب الحرب والاطعمة والعلم والادب وغيرها ترى نقلًا كثيرًا ربما يصعب حصره وذكره في رسالة مثل هذه . ولنذكر لك جدولًا

صفيرًا آخر :

العقد		عن	عيون الاخبار	
الجزء ٣	٣٠٣	«	الجزء ٤	٩٦
٣	٣٠٣	«	٤	٩٦
٣	٢٣٢	«	٤	٩٢
٣	٢٤٣	«	٤	٩٠
٣	٣٠٤	«	٤	٩٢
٣	٢٨٥	«	٤	٥
٣	٢٨٣	«	٤	٦
٣	٢٨٢	«	٤	٧
٣	٢٨٤	«	٤	١٠
٣	٢٨٩	«	٤	١٣

ونزيدك ان تلاحظ ان هذا الجدول مأخوذ ايضاً عن كتاب واحد في العقد هو كتاب المرجانة في النساء وصفاتهن . وهو ايضاً قليل من كثير في الكتاب نفسه . واذكر ان في العقد ٢٥ كتاباً لم نشر الى النقل الّا في اثنين منها . وغريب ان اكثر الابواب التي طرقها ابن قتيبة في عيون اخباره قد طرقها ابن عبد ربه في عقده . فكلاهما قد بحث في السلطان ، والحروب ، والتاريخ ، والعلم بما يتبعه من الحفظ والقرآن والاثر والكلام والخطب ، والنساء وصفاتهنّ ، والطبائع والاخلاق ، ووصايا المؤدبين ، والبيان والبلاغة والتلطيف في الجواب الخ . ومن يقرأ عيون الاخبار يرَ ان اكثر الخطب الواردة في كتاب العلم قد اوردها ابن عبد ربه في كتاب الواسطة .

وقد اقتصر ابن عبد ربه في اكثر الاحيان على نقل الخبر دون ذكر مصدره غير انه في بعض الاحيان يقول : وحدّث ابن قتيبة دون ذكر الكتاب [1] . وربما بلغ بابن عبد ربه ان ينقل عن ابن قتيبة ما نقله ابن قتيبة عن كتب أخرى

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٥ ، و٢ : ١٠

كأن يقول مثلاً: «وفي كتاب التاج» وينقل قطعة بكاملها[١] ذكرها ابن قتيبة في عيون اخباره قال: «وقرأت في كتاب التاج» الخ[٢]. كذلك ترى عند ابن عبد ربه في العقد: «وفي كتاب للهند: الحازم يحذر عدوّه» الخ[٣]. وتراها في عيون الاخبار: «وقرأت في كتاب للهند: الحازم يحذر عدوّه» الخ[٤].

واقرأ العقد وادرسه جيداً ثم اقرأ عيون الاخبار لاول مرة تشعر كأنك تعرف هذا الكتاب وكأنك قد قرأته سابقاً.

الجاحظ

وينقل ابن عبد ربه عن الجاحظ ابي عثمان عمرو بن بحر الكناني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ[٥] والجاحظ كابن قتيبة له شهرة ادبية وقد سطا كثير من الادباء الذين تأخروا عنه على كتبه فنقلوا منها قال القاضي الملقب بالفاضل: «واما الجاحظ فما منّا معاشر الكتّاب الا من دخل داره او شنّ على كلامه الغارة وخرج وعلى كتفه منه الكارة.»[٦] ومع ان ابن قتيبة قد استند الى الجاحظ واخذ عنه اموراً نقلها الى عيون اخباره، فانّا نرى ان ابن عبد ربه قد رجع الى بعض كتب الجاحظ فنقل عنها مباشرة لاسيما عن كتاب في الادب اخذ منه فصولاً في العتاب والوشاة واستنجاز الوعد والاعتذار، والتعازي وكتابة الرسائل لم ينقلها ابن قتيبة[٧] واخذ ابن عبد ربه عن كتاب الجاحظ في الموالي والعرب[٨] وعن كتاب الادب[٩] كما وانه ينقل عن الجاحظ كثيراً دون ان يشير الى اسم الكتاب[١٠] وقد قابل في عقده بين الجاحظ وتلميذه المبرّد فمدح الاول وذم الاخير.[١١]

١) ابن عبد ربه ١: ٢٦ ٢) ابن قتيبة ١: ٢٧
٣) ابن عبد ربه ١: ٨٠ ٤) ابن قتيبة ١: ١١٣
٥) [The Encyc. of Islâm, vol. I, p. 1000] في المقالة عن الجاحظ المهملة التوقيع.
٦) راجع تصدير كتاب التاج في اخلاق الملوك، لاحمد زكي باشا، ص ٢٩
٧) ابن عبد ربه ٢: ٢٤٣ و٢٤٤ و٢٤٥، و١: ٢٤٠
٨) ابن عبد ربه ٢: ٩٣ و٣: ٢٦٩ ٩) ابن عبد ربه ١: ٢١١
١٠) ابن عبد ربه ٣: ٩ و٢٦ و٢٢٥، و٢: ٢١٣، و١: ١٨٤ و٢٤٠ و٢٧٠
١١) ابن عبد ربه ٣: ٢٦٨ و٢٦٩

(للبحث صلة)

الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة

صفحة تاريخية

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

٢

تثبيت القانون الرهباني

رأى الاب قراعلي بحكمته الصائبة ان يطلب من البطريرك الدويهي اثبات القوانين الرهبانية ليتقيد الرهبان بالنذور تمكيناً لهم في دعوتهم ، فكان يسوّفه من حينٍ الى حين. فلجأ عندئذٍ الى الاب حوّا ، نسيب غبطته ، والمطران جرجس بنيّتين متوسلًا اليه بدموعه ليتوسّط له بقبول طلبه . فرضي البطريرك واثبتها بسلطانه في ١٩ حزيران ١٧٠٠ . وعندئذٍ ابرز الاب قراعلي والشمّاس يوسف البتن وعددٌ من الرهبان النذور الرهبانية.

وما عتّم ان خاصم السيّد جرجس بنيّتين ، مطران اهدن ، الاب حوّا في ديره لامورٍ انتهت الى البطريرك ، فقلق من جرّاء ذلك رهبانه ، وغادره بعضهم ، وتقارطته الهموم والاحزان ، فقنط ورجع يقيم عند الاب قراعلي غير مرتبط بنذرٍ كباقي الرهبان . واستأذن البطريرك بالسفر الى مالطة لشراء مطبعة . وحلّت قدمه اخيرًا في رومة . ووكل اليه البابا اكليمنضوس الحادي عشر مهامّ متنوّعة قام بها خير قيام . ومكافأةً لخدمه للكرسي الرسولي ، وهبه دير القدّيسين بطرس ومرشلّين في رومة . فتارة كان يطلب من الاب قراعلي في لبنان رهباناً يسكنون في هذا الدير ، وطورًا يعده بتخلّيه عنه للرهبانية . ولم تكن حيله لتجوز على رجلٍ سامي المدارك كالاب عبد الله . ومع ذلك وجّه اليه الاب فرحات والاب البتن وابن شقيقته الاب يوسف شاهين الرومي الملكي الاصل ، فنازعهم هناك ونكث بوعده ورجعوا الى لبنان خاسرين . وقد عرّض فرحات بالاب حوّا وحوادثه في شعره اذ قال:

يمّرْجَلّين صادفنا فعالًا تذكّرنا فعالَ المُفترينا
بانسانٍ أرانا السير لفظًا بلا معنًى فخلناه يمينا

دعانا اولاً حتى حضرنا فكنا من الرجال الناسكينا
وكان سحابة فينا جهاماً وخُلّبُ برقه وعداً لدينا
فلا تعجب لشخص قد تكنّى بمعنى إسمٍ أَمَّ العالمينا
فان السيف من معناه يُكنى بشرٍ حيث كان به كمينا...(١

ورُقّي الاب حوّاً الى درجة الاسقفية سنة ١٧٢٣، وتوفي في رومة ١٧٥٢.

وأفل في ١٧٠٤ بدرُ المارونية الساطع ومعلي منارها ومجدّد امجادها البطريرك اسطفان الدويهي الاهدني، وقد عاده في مرضه الاخير الاب قراعلي فجاد عليه وعلى رهبانيته بالبركة ودعا لها بالنموّ والازدهار. وخلفه السيّد جبرائيل البلوزاوي، فعاش سنةً واحدة وانتقل الى جوار ربه. وعقبه السيد يعقوب عوّاد الحصروني. وخطر للاب قراعلي خاطر، وهو ان يبدل اسم الرهبانية الحلبية باسم اللبنانية، لانها أُنشئت في جبل لبنان، ولما في انتسابها الى حلب ما يُشعر بروح الاختصاص. فقبل البطريرك رجاءه وبدأ يلقّب الرهبان والرهبانية ويكاتبهم بهذا الاسم، ولم تسبقها جمعية تلقّبت به في الشرق. ولنا ان نعزو اليها قول الله في الكتاب الكريم: «ويدعو عبيده باسمٍ آخر . . . وقبل ان يدعو أُجيب» (اشعيا ٦٥: ١٥ و٢٤)

وسيم في السابع عشر من ايارل ١٧١٦ الاب قراعلي اسقفاً على بيروت. وطلب الاب العام، مخائيل اسكندر الاهدني، وبدّبروه الاربعة من البطريرك يعقوب ان يُثبت قوانين الرهبانية وفرائضها التي اقرّها الدويهي سابقاً فاثبتها ثانية برقيمٍ خاص مؤرَّخ في ٢٣ تشرين الثاني ١٧٢٥.

ولم تشغل المطران قراعلي مهام اسقفيته الكثيرة عن حضن الرهبانية، غرسة يده، بحبّه وعطفه وعونه، وهي لم تزل بعدُ صغيرةً ضعيفةً في مهدها محتاجة الى تدبيره وعنايته الرشيدة. ورأى ببصيرته النافذة أن لا سبيل لرسوخ قدَمها وصيانتها وحمايتها في الحاضر والمستقبل، ودرء المخاطر عنها، وحسم المنازعات الدائرة حولها، وتشديد عزائم ابنائها في صعود درجات الفضيلة إلّا باثبات قانونها من الكرسي الرسولي المقدّس فترجع اليه في شؤونها كلما دعت الحاجة[٢]...

١) الديوان، ص ٤٤٠؛ وفي موضع آخر منه ص ٢٢١، وبريد بامّ العالمين حوّا
٢) رسالة السمعاني للرهبانية

فشمَّر عن ساعد الجدّ وسعى لتحقيق هذه الفكرة، وسافر الاب مخائيل اسكندر، رئيسها العام، الى رومة في اواخر ايلول ١٧٢٧، متأبطاً كتاب القانون والفرائض والرسوم، ومزوَّداً من آباء الرهبانية ومن السيدين البطريرك وقراعلي برسائل الاستعطاف والاسترحام لقداسة البابا ولامراء الكنيسة، وكلها تضرب على نَغَم واحد وهو طلب تثبيت القانون. فاجتمع هناك بصديق الرهبانية الامين ونصيرها الكبير في المكاره والشدائد، الحبر العلّامة يوسف سمعان السمعاني؛ وكان خبر بنفسه لدى حضوره الى لبنان فضائل رهبانها وما بَذلته وستبذله من شتّى الخدَم الجزيلة العائدة بالفائدة على الطائفة والبلاد، فسنَده واعانه بعلمه ونفوذه في عاصمة الكثلكة. وبعد فحص هذه القوانين وأخذٍ وردّ في قضيتها تنازل البابا اقليمس الثاني عشر الى اثباتها ببراءة حبريَّة شريفة صدرت في ٣١ اذار ١٧٣٢ فرفعها بقوة هذه البراءة الى مقام رهبانية معروفة من الكرسي الروماني، وانفذ الى السيّد البطريرك واساقفة الطائفة رسالتين توصية بهذه الرهبانية «الجزيلة التقى التي جمَّلت وزانت الطائفة المارونية»[1].

عاد الاب العام مخائيل اسكندر الى لبنان بعد غياب خمس سنوات في رومة، حاملاً الى الرهبان كتاب القانون المثبت فطابت نفوسهم سروراً لهذه البشرى مرحّبين بقدوم رئيسهم باصدق شواعر الحبّ والفرح، ومقدّمين لله الشكر على نوال مشتهى قلبهم الصالح. وتوفي الاب العام الاهدني في دير اللويزة ١٧٤٢، وخلفه في الرئاسة الاب ارسانيوس عبد الاحد السرياني الاصل.

قسمة الرهبانية

ما زالت الرهبانية في مراتع السكون والطمأنينة، ماضية في نهجها السوي ناعمة برغد الحياة المرتكزة على اساس الالفة والاتحاد حتى سمح الله بحنتها لسرٍّ من اسرار حكمته الغامضة، فسرى الخلاف في صفوف رؤسائها ومرؤوسيها سنة ١٧٤٤، لاسباب نرى بعضها مبسوطاً في المجلّد الثاني من تاريخها. وقد رُفع امره الى المجمع المقدّس، فأوعز الى البطريرك يوسف اسطفان

[1]) ذيل المجمع اللبناني، ص ٤٤ – ٤٦ و٥٠ – ٥٣

الغسطاوي والى القاصد الرسولي لويس باتيستا بقسمة الرهبانية الى فئتين: لبنانية بلدية، وحلبيّة. فحضرا الى دير حريصا للآباء الفرنسيسيين في الثامن من كانون الاول ١٧٦٨، واستدعيا الرئيسين العامّين للفئتين، الاب عمانوئيل ابراهيم الرشماوي للبنانية، والاب لويس السمعاني للحلبية، ومدبريهما، وتمت القسمة. فاصاب الرهبان الحلبيين ستة أديار وقسماً من انطوش بيروت. والرهبان اللبنانيين أحد عشر ديرًا، ما عدا اديار بلاد جبيل والبترون التي كانت بيدهم. واما دير قبرس فلم تجرِ عليه القسمة، لانه كان مهجورًا للاضطرابات التي كانت هناك. وقد انتهى الينا آخرًا. وقرَّر البطريرك والقاصد إعطاء الفئة اللبنانية زيادة عن الاديار المعيّنة لها من الكرسي الرسولي، دير مار الياس الراس للراهبات، ودير رشميا، ودير سير مجازاةً لاتعابهم وقطعاً لكل نزاع في المستقبل.

وقد اذاع قداسة البابا اكليمنضوس الرابع عشر براءته بالقسمة في ١٩ تموز ١٧٧٠، ونُفّذت احكامها، وجرى العمل بها وبالشروط التي عَقدها الرئيسان العامّان. وافادنا الطيب الأثر المؤرخ الاب نعمةالله الكفري عن عدد ابناء الرهبانية جمعاء عند القسمة، وعدد المنتمين الى كلٍّ من الفئتين. فكان المجموع ٢٥١ راهباً من كهنة واخوة، وعدد الفئة اللبنانية ١٩٠ منهم ٤٣ كاهناً و١٤٨ أخاً، وعدد الفئة الحلبيّة ٦١ راهباً و١٢ مبتدئاً منهم ٣٧ كاهناً و٢٤ أخاً[1].

عادت بعد القسمة مياه السكون الى مجراها، وتوطّد السلام في كلٍّ من الرهبانيتين الشقيقتين، واندفعت كلُّ واحدة تسعى في توسيع نطاقها صاعدةً في مراقي التقدم والنجاح. فكانتا كفرسي رهانٍ تتسابقان وتتعاونان في عمل البر وفي خدمة الدين والطائفة والبلاد، تجمع بنيها اواصر الحبّ والوفاق. وها قد مضى على قسمتها مئة واثنان وستون عاماً ونيف، ولم يتعكر صفاء ودّهما ولا تزعزعت اركان حبها. وفي هذه السنة اصدرت الرهبانية الحلبية الشقيقة العزيزة نبذة منفردة جاءت فيها على مآثر ابنائها البيضاء. فاكتفينا بالاشارة اليها، طالبين لها من الله اطّراد الترقي بعناية قدس رئيسها العام المفضال الاب جبرائيل الشمالي العشقوتي ومدبّريه الافاضل.

---

١) تاريخ الرهبانية، المجلد الثاني، ص ٢٩٣

صفحة ذهبية من تاريخ لبنان

البطريرك اللبناني

الياس بطرس الحويك

بقلم الخوري منصور عوّاد عوّاد

٧

موقف البطريرك من فرنسة

قيل، والحق في ما قيل: ثلاثة اشتهر بها الموارنة في الشرق والغرب وكانت لهم بمثابة العلامة الفارقة ألا وهي حبّ الله، وحبّ رومية، وحبّ فرنسة! اجل ان تاريخ الموارنة الديني الذي كتب بالعناء والفاقة والجوع والضنك والشقاء والاضطهاد والنار والدم يُختصر في المحبة الثلاثية الآنفة الذكر. وهي انهم لاجل دينهم، ولاجل تعلّقهم برومية وفرنسة، تحملوا ما احتملوه وقاسوا ما قاسوه طيلة أجيال! فالبطريرك اللبناني مجموعة التقاليد المارونيّة الصحيحة كلها والامين في المحافظة عليها، كان لا بدّ ان تتجلّى فيه تلك التقاليد الشعبيّة العريقة في القدم تقاليد محبة الموارنة لفرنسة. ولا غرو فانه فوق ما عرفه بتصفّحه التاريخ من ارتباط الشعب الماروني بشعب فرنسة منذ عهد القديس لويس، ملك فرنسة، وارتباط رؤسائه بملوك فرنسة، فانه كان قد رضع مع حليب والدته ذلك الحب وتشنّفت اذناه باخبار فرنسة وقديسيها وابطالها يسمعها في بيت والده من والده واهل قريته، عندما كانوا يجتمعون في ليالي الشتاء حول الموقدة، ويتحدّثون عن فرنسة، صديقة الموارنة ومحاميتهم القويّة، وعن رجالها واعمالهم وبطولتهم.

ثم حدثت حوادث سنة ١٨٦٠، عهد كان لا يزال في مدرسة الآباء اليسوعيين دارساً اكليريكيّاً في غزير، فشعر بمفعول صداقة فرنسة وحمايتها التي

كان يطالع عنها الصفحات الذهبية في تاريخ الطائفة والشرق المسيحي ، اذ رأى بأمّ العين جيوش فرنسة تأتي الى لبنان لحماية النصارى عموماً والموارنة خصوصاً ، والدفاع بالارواح عن ارواحهم ا رأى بعينه مفعول تلك الحماية يوم ضُمنت بفضل فرنسة وجيشها لبقية الموارنة المسيحيين المقيمين في لبنان وسورية النجاة من موت ذريع كان قرّره لهم الجهل والتعصّب الذميم والسياسة الخرقاء ، وعُوّض عليهم ما خسروه من مال ومتاع وما هُدم لهم من بيوت او أُحرق من دور ، واناًلهم في لبنان الاستقلال النوعي ترعاه الدول الكبيرة المعروفة في ذلك الوقت ، وعرف انه لو أُتيح لفرنسة كل ما شاءت وشاء حبها للموارنة واوجبت تقاليدها عليها لكانت منحت لبنان استقلالاً تاماً . وعرف ان جنود الامبراطور نابوليون الثالث كانوا يحملون على اكتافهم الحجارة ويبنون بايديهم بيوت الموارنة التي أُحرقت في دير القمر وبيوت سائر النصارى المقيمين فيها معهم . فادرك ان الذي قرأه في الكتب عن فرنسة وعن محبتها للموارنة وعن احسانها اليهم وتضحيتها في سبيلهم كان حقيقة لا خيالاً . وكان احسان الافرنسيين والافرنسيات يتدفق على اللبنانيين ، وخاصة على الموارنة ، باستمرار ، ففي الموارنة المنكوبون بؤسهم لاجل فيضان ذلك الاحسان .

أُتيح للبطريرك اللبناني بعد ذلك بعناية خاصّة ان يكمل دروسه في رومية ، فشاهد بعينيه جنود الامبراطور نابوليون الثالث تحمي باموال فرنسة وسيوفها وبنادقها ومدافعها وبدماء ابنائها حريّة البابا وملك الكنيسة ، وظلّ ذلك المشهد إلف عينيه طيلة الايام التي قضاها في المدينة الخالدة اي من خريف سنة ١٨٦٦ الى صيف سنة ١٨٧٠ فادرك بالحسّ ان ما كان يطالعه عن ان فرنسة هي ابنة الكنيسة البكر ، والمدافعة عن حقوق الكنيسة في الشرق والغرب ، وحامية الكاثوليك في الشرق كلّه ، لم يكن حديث خرافة بل كان حقيقة تاريخية عاشت فيها فرنسة من عهد ملكها بينو الى يومه .

عاد الى لبنان ، والحقته العناية الربانية بالبطانة البطريركية المارونية وكان اميناً لاسرار البطريرك ، فاضطرّ بحكم الوظيفة ان يعرف مقدار الاحسان الذي كانت ترسله فرنسة الى الموارنة لبنيان الكنائس وتجهيزها وتأسيس المدارس

ونشر المعارف ومساعدة البؤساء، واختبر بنفسه عطف الشعب الافرنسي والاكليروس الافرنسي على شعب لبنان واكليروسه اذ كانت تُبعث من قبلها المقادير العظيمة من حسنات القداسات لاعاشة الكهنة الموارنة. فكان الشعب الماروني في نظر الشعب الفرنسي ونظر حكوماته، على اختلاف مذاهبها السياسية ونزعاتها الحزبية ومعتقدات رجالها الدينية، شعباً فرنسياً آخر يقطن على شواطئ البحر المتوسط في ارض فينيقية المجيدة القديمة؛ فكان يعامله معاملة الاخ لاخيه او قل معاملة الامّ لوحيدها المغترب المحتاج الى كل عطف الامّ واحسانها ومعاونتها وحمايتها.

وادرك البطريرك اللبناني، وهو امين اسرار البطريركية المارونية، ما الدور الذي مثّلته وتمثّله فرنسة كل يوم في سبيل حماية الاستقلال اللبناني السياسي والاقتصادي، فازداد قلبه ولوعاً بفرنسة واشتدّ تعلقه بها وتعرّف على كثير من رجالها في ظل بطريركه العظيم بولس مسعد، وعلى كثير من قناصلها ورجالها الرسميين، وكانت له معهم محاورات ومبادلات نظريات وتقارير ادارية وسياسية وتهذيبية عرفه بواسطتها رجال فرنسة وعرّفوه الى فرنسة في باريس وحكومتها وعرفهم بدوره. وكبرت منزلة فرنسة عنده يوم أرجعت على مدرّعة من مدرّعاتها المطران بطرس البستاني، مطران صور وصيدا، رجل الوطنية والجرأة والفضيلة، من منفاه، ونصرته على متصرّف جبل لبنان رستم باشا، وعلى دولة بني عثمان التي كانت تؤيد متصرّفها لكسر شوكة الموارنة ورؤسائهم[1]. وكانت صداقته مع رجال فرنسة متينة ظلّ يذكرها الى يوم وفاته.

أُسندت الى المطران الياس الحويك مهمّة تجديد المدرسة المارونية في رومية، بدء بطريركية البطريرك يوحنا الحاج، فأمّ رومية لهذا الغرض ولمّا تشرف بالمثول لدى قداسة السعيد الذكر البابا لاوون الثالث عشر والتمس منه ان يأذن له بالذهاب الى فرنسة لاستندا. أكفّ المحسنين لاستكمال ما يلزم من المال

١) راجع في هذا المعنى، اي معنى علاقات البطريرك الحويك مع رجال فرنسة وسفرائها وقناصلها وما عمله في سبيل لبنان عهد كان في خدمة البطريركية المارونية كاهناً واسقفاً، ترجمة حياته للعامل الفاضل الخوري اسقف بطرس حبيقة، وهي سلسلة اجزاء بالعربية والافرنسية.

لارجاع المدرسة قال له الحبر الاعظم : «ان هذا صعب في هذه الايام لاني سمعتُ لمطران من رومانية ان يومْ فرنسة لنرض مشابهٍ فعاد اليوم ولم يجمع نفقات سفره .» فاجاب المطران الياس الحويك بلهجة الواثق : «ايها الاب الاقدس ، للموارنة في فرنسة غير ما لسواهم فنحن تعتبرنا فرنسة كأولادها ومتى أذنت لي قداستكم بالذهاب الى فرنسة رأت مرأى العين اني صادق في ما اقول .» فاستغرب لاوون الثالث عشر تلك اللهجة المقرونة بالثقة الشديدة . ولكنه أعارها كل اهتمامه ووثق بها كل الثقة ، وفوّض الى المطران الحويك كل ما كان يلزم لتلك المهمة . وما طال امر سفره حتى حقق للحبر الاعظم ما كان سبق فقال كانه يراه بعينه لان الشعب الفرنسي اقبل على مساعدة مشروعه لتجديد المدرسة المارونية في رومية باريحية وسخاء وسرعة ، وكان الاقبال من الشعب ومن رؤسائه الروحيين ولاسيما من رئيس اساقفة روان ، الذي ارتقى في ذلك العهد الى رتبة الكردينالية وكان صديق الحويك وشفيعه ونصيره لدى شعبه ولدى قداسة البابا لاوون الثالث عشر ، الكردينال توما . وفي الوقت عينه نال من عطف الحكومة الافرنسية انها انعمت على الطائفة المارونية بثمانية كراسي مجانية لطلبة الموارنة الاكليريكيين في مدرسة سان سولبيس .

ومنذ ارتقى الى السدة البطريركية الى يوم وفاته كانت علاقاته مع فرنسة سلسلة محبة واحسان وحماية . ولولا فرنسة في الحرب واحسانها لما ابقت المجاعة التي دبرها الترك واذنابهم واشباههم من رجال الجشع والطمع بقية من شعبه الماروني العزيز على قلبه .

فبفضل فرنسة انتشرت الرسالات الدينية الفرنسية في لبنان وسورية ، وبفضل ابناء فرنسة وبناتها تهذّب الشعب الماروني في اموره الدينية والادبية والاقتصادية والسياسية والعلمية وصار لديه منهم افراد يفاخر بهم أرقى شبان فرنسة والعالم المتمدن ، وبفضل اموالها ازدهرت طائفته ازدهارًا نادر المثال . لذلك كانت داره البطريركية في عهد الحكومة التركية ذاتها محطًا لرحال رجال فرنسة وكبارها يزورونه كلما زاروا سورية او لبنان . وكانت عندهم دار البطريركية المارونية دار فرنسة في الشرق ، ومشهورة كلمة السيد ميلران ،

رئيس جمهورية فرنسة سابقاً،عندما زار البطريرك اللبناني في كانون الاول ١٩٢٧ وقال على المائدة شارباً نخب البطريرك : « اني سعيد لوجودي في هذا البيت التاريخي الذي كان دائماً بيت فرنسة في الشرق » (١

عندما استدعى البطريرك الحويك الى صوفر وكان الذي استدعاه طاغية لبنان وسورية في الحرب الكونية ، جمال باشا ، وقال له: « انك تحب فرنسة. فكيف تحبها وهي عدوّتنا ؟ ! » اجابه بلهجة حازمة وصادقة وصريحة : « قد تعوّدنا ان نحب المحسنين الينا ، وفرنسة كانت في كل زمان ومكان محسنة الينا لذلك لا يسعنا ألّا نحبها. ان حبنا ايّاها لا يحول دون قيامنا بواجباتنا نحو دولتنا العلية. ولو غمطنا احسان فرنسة وجحدنا فضلها لما اعتبرنا احد مخلصين لدولتنا. لان الذي ينكر احسان المحسن اليه لا يكون اميناً لاحد ! » فتهيّبه جمال باشا لصدقه وجرأته وسذاجة تعبيره !

تلك المحبة وتلك الجرأة وتلك التقاليد التي اجتمعت في البطريرك اللبناني هي التي اجمعت قلوب اللبنانيين ، على اختلاف اديانهم وطوائفهم ونزعاتهم ، على محبة البطريرك وتقدير قدره وتوكيله عنهم للمطالبة بالاستقلال للبنان برعاية الانتداب الفرنسي. وقد لبّى طلب اللبنانيين بطيبة خاطر وحمّل شيخوخته اثقال السفر الى باريس حاملاً صك التوكيل في الاوراق التي بيديه منهم وصك الاماني اللبنانية في قلبه وعقله ، الى مؤتمر فرسايل سنة ١٩١٩ ، وما عاد الّا وصك الاستقلال بين يديه بوعد رئيس الحكومة الفرنسية السيد كليمنصو الذي ما عتّم ان نُظر في الفعل حقيقة تاريخية سيأتي الكلام عليها.

ومنذ الاحتلال الفرنسي ثم الانتداب ثم اعلان استقلال لبنان الى وفاة البطريرك اللبناني كانت البطريركية المارونية مرجع اللبنانيين والفرنسيين معاً. فكان البطريرك الحويك واسطة خير وسلام بين الفريقين. فكان اباً للبنانيين بحبه ونصائحه وحكمته ، وصديقاً للفرنسيين حميماً مخلصاً لا يهاب ان يقول لهم الحقيقة بجلاء وصراحة اذا هم طاش سهمهم في سياستهم او ارتكبوا غلطاً في

١) راجع ايضاً الجزء الرابع من ترجمة البطريرك اللبناني للخوري اسقف بطرس حبيقة ، المطبوع سنة ١٩٢٩ في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت ، ص ٣٢

بعض تدابيرهم ، قارناً قوله احياناً ببعض المؤاخذة الوالدية . وكان يردد عليهم عندئذ المثل العربي المأثور : « صديقك من صدقك لا من صدّقك . » وما زاره فرنسي الّا خرج يقول في سرّه وفي علنه : « لم اشاهد رجلاً فيه وقار هذا الشيخ وصدقه وحكمته ووطنيته ولم يخطر ببالي قط ان رجلاً لبنانياً تكون فيه لفرنسة هذه المحبة الصادقة النيّرة المجتمعة مع محبته الحقيقية لبلاده لبنان »

لم يستخدم نفوذه لدى فرنسة ولا خدماته لمصلحته او لمصلحة طائفته بل اراد من فرنسة ان تكون في البلاد رسول عدلٍ وسلامٍ للجميع . ولم ينظر الى رجال فرنسة في اديانهم او معتقداتهم الشخصية بل نظر اليهم كممثلين لفرنسة التي احبها وطلبها منتدبة على بلاده ، وقد صرّح بذلك مراراً ولم يأنف من ترداده على مسامع الجنرال سارايل يوم جاء هذا مندوباً سامياً للبنان وسورية ، وكان مشهوراً بعدائه للدين ولرجاله . ان كلمة البطريرك اللبناني مشهورة في هذا المعنى : « يهمني في من يتولى مصالح البلاد عدله ونزاهته لا مذهبه ! » .

لم ينتفع البطريرك اللبناني لنفسه ولا لبطريركيته في وجود فرنسة في البلاد ولا من وجودها . فان البطريركية كانت في جميع ايام بطريركيته بيتاً مفتوحاً للافرنسيين وللبنانيين . وفي سبيل فرنسة ولبنان انفقت الاموال الكثيرة ، واستدانت الديون الباهظة وقد مات البطريرك اللبناني والبطريركية مثقلة بالديون رازحة تحتها . وقد بلغ ما باع من املاكها الثابتة قياماً بتلك المهمة الوطنية خمسة وثمانين الف ليرة عثمانية ذهباً جدّد من اصلها للبطريركية بخمسة وعشرين الف ليرة عثمانية ذهباً .

ولم يقل يوماً لفرنسة او لاحد من ابنائها انه مدين لاحد او انه خسر مالاً على احد في سبيلها او في سبيل البلاد ! عاش عزيز النفس في حب فرنسة وحب بلاده . ومات عزيز النفس في حبه فكان امثولة شريفة في المحبة والتضحية والاخلاص لابنائه وللبنانيين وللافرنسيين ولكل انسان . كان مثالاً في الحب المجرّد ولاجل المصلحة العامة ولاجل عرفان الجميل . مع انه لو طلب من فرنسة اضعاف ما خسره لاجلها وبسببها وفي سبيل المصلحة المشتركة بين شعبه

وبنيها، في اي وقتٍ كان، لما كانت ضنَّت عليه باضعاف ما انفقه في سبيلها وسبيل خير بلاده وهي التي انفقت الملايين ولا تزال تنفق الملايين احساناً الى شعوبٍ لا تعرفها وفي سبيل تمدين امم تجهلها.

لذلك اسف عليه في موته الافرنسيون أسف ابنائه عليه واشترك رجال الانتداب جميعهم في لبنان وسورية في حفلة دفنه مما لم يسبق له نظير، اظهاراً لتقديرهم اياه وشعورهم بخسارته الجسيمة. ولم يكن رجال الحكومة في باريس اقل حزناً عليه من رجال الانتداب في لبنان وسورية، كما دلت برقيات التعازي التي بعثوا بها واشتراكهم واشتراك ممثلهم في جميع جهات العالم في حفلات الصلاة التي أقيمت لاجل راحة نفسه في كل ارض من اراضي المهجرة للمارونية، بل بانبراء نخبة من رجال الدين والسياسة بينهم الى تأبين الراحل العظيم في تلك الحفلات بافضل ما قيل في رجلٍ على الارض!

أجل احبَّ البطريرك اللبناني فرنسة لاجل احسانها الديني والادبي، لاجل تضحيتها باموالها ورجالها في سبيل حماية الموارنة ورقيهم الديني والادبي والسياسي والاقتصادي، احبها لانها ابنة الكنيسة البكر، احبها لانها أغنت البيعة المقدسة بقديسيها وقديساتها وشهدائها في كل عصر ومكان، احبها لانها حملت مشعال المدنية المسيحية الى مجاهل افريقية واطراف المعمور وصبغت بدم رجالها وشهدائها الارض القصيَّة، احبها لان الكيان الماروني اللبناني لولاها لما كان له وجود في الوجود، احبها لان مرسليها من الرهبان والراهبات هم له خير جنود في تهذيب ابناء طائفته وبلاده وبفضلهم صار لبنان يضاهي برقيّه ارقى شعوب اوربة في جميع شؤونه الدينية والعلمية، احبها لانه رأى فيها صدى لما كان يسمعه بالنقل عنها في بيت والديه في حلتا ولا شيء أحب الى الانسان واعذب من تذكارات طفوليته اذا رآها طيلة ايام حياته تنمو بنموه وتعيش بعيشته، فبارك الله في فرنسة التي احبها البطريرك اللبناني!

اننا نقرأ في منشوره الذي اذاعه على الطائفة المارونية في ٨ ك ١ ١٩١٨، اي على اثر الاحتلال، مختصر ما أشرنا اليه. أمَّا قال في ذلك المنشور:

« ونحن في تابيتنا داعي القلب ونشر ما طواه من عواطف الحب والاخلاص والامتنان

والشكر للامة الافرنسية النبيلة لا نكون قد اتينا امرًا مستغربًا ولا مستجدًا . فان هذه الشواعر قد توارثناها عن الآباء والاجداد وهي راسخة في قلوبنا رسوخ الارز والصخور في جبلنا. وقد زادها تعزيزًا ورسوخًا ما صادفناه على كرّ الاعوام والاجيال من التفات فرنسة وعطفها وتفانيها في سبيل مصلحتنا . نقول هذا ولا نجازف لاننا اذ خلفنا ، وان على غير استحقاق ، بطاركة طائفتنا الاقدمين قد عرفنا تقليداتهم ووقفنا وحافظنا عليها وواصلنا ما بدأوا به من العلاقات الولائية مع فرنسة . وقد اضطرنا الامر غير مرة ان نلتجئ نحن ايضًا اليها ، وان من غير علم منكم، لكي تحافظ عليكم وتدفع عنكم ما كان يتهددكم من الظلم. وهذه اوراق خزائننا البطريركية اصدق شاهد على ما نقول واسطع دليل على ما لفرنسة في جنبنا من الحسنات التي تفوق الحصر. فكم قد درأت عنا من الشرور وكم انشأت في بلادنا من المعاهد العلمية والمؤسسات الخيرية وقصارى القول ان فرنسة قد حملت على عاتقها كل واجبات حكومتنا نحونا دون ان تحمّلنا شيئًا من اثقالها وعليه يحق لنا بل يتوجّب علينا ان نخصها بالشكر الجزيل وبهذا نكون قد نسجنا على منوال الاجداد الاماجد الذين من مقرّ راحتهم يحبّون ولا شك عملنا » [1]

وكان قد سبق وجاهر بهذه العواطف في عهد الحكومة التركية نفسها عندما نكبت فرنسة بطغيان بعض انهارها في فيضانه سنة ١٩١٠ فاذاع نشرة على الطائفة المارونية في ٤ شباط ١٩١٠[2] واستنهض بها الهمم للاكتتاب لاجل مساعدة المنكوبين على سبيل الاقرار بجميل فرنسة . ومما جاء في تلك النشرة:

« اجل ايها الابناء الاعزاء انا نتلقى اخبار هذه الكارثة النازلة بفرنسة بانقباض في النفس وضيق في الصدر. ولا شك انكم جميعًا تشاركوننا في هذه العواطف لما تعلم وتعلمون ان الامة الافرنسية الكريمة تسير في مقدمة الامم لنصرة المنكوبين ولها السبق في عمل المعروف والاحسان مع ذوي البأساء لدى كل ملمة طارئة فلا يخلو مكان من آثار برّها وسخائها وخصوصاً هذه الديار السورية. وهي تأتي هذه الاعمال المجيدة عن كرم مهزّة وطيب محتد لا تطلب عوضاً ولا تسأل بدلًا على انها وان كانت بفضله تعالى في غنى عن كل مساعدة اجنبية لما توفر لها من اسباب الثروة وموارد الرزق فان سنّة عرفان الجميل تقضي على عموم ابناء هذه الديار ، وخصوصاً ابناء طائفتنا ، بان يقوموا بظهر الشكر للامة المعترفين بالفضل . وعليه فاننا ايها الابناء الاعزاء ايذانًا بمعرفتنا جميل الامة الفرنسية المحسنة قد افتتحنا اكتتابًا لاسعاف المنكوبين من ابنائها فنرغب اليكم جملةً وافرادًا ان تتباروا في السخاء لهذا الغرض كلٌ بقدر طاقته . »

وافضل ما طفحت به نفسه من الشعور الشريف وفاض على شفتيه وقلمه ما صرّح به في منشوره التاسع عشر من آي الشكر لفرنسة عندما اعلنت

١) الذخائر السنية ، ص ٤٩٧ وما بعدها . ٢) الذخائر السنية ، ص ٨٧٦ و ٨٧٧

استقلال لبنان وتوسيع نطاقه بارجاع حدوده الطبيعية اليه ، فقد قال في ذلك المنشور الذي اذاعه في ٨ ك١ سنة ١٩٢٠[1] .

« والآن ، وقد ابدت لنا الامة الافرنسية النبيلة في ضيقتنا وشدة محنتنا برهاناً جديداً ساطعاً على حبّها لنا ولمصلحتنا واهتمامها بأمرنا ، وفازت سياستها الرشيدة في هذه البلاد وتحققت الآمال التي عقدناها على شهامتها وعطفها علينا فنال لبناننا العزيز استقلاله وتوسّع نطاقه وبُعث شعبه امّة حيّة سيكون لها شأن ، ان شاء الله ، بين الامم الراقية ، فقد توجب علينا ان نسدي الشكر الجزيل لفرنسة ونبين بولائنا واخلاصنا لها ولرجالها المتفانين في سبيل مصلحتنا اننا ابناء اولئك الاماجد الذين ذاقوا الامرّين في سبيل حبها والاخلاص لها فلم يصرفهم عن ذلك ظلم الظالمين ولا جور المستبدّين »

ثم خصّ الجنرال غورو المعتمد السامي بكلمة شكر ونوّه بفضله في نشر ألوية الامن والسلام والسكينة فوق هذه الربوع واضاف الى ذلك قوله عنه :

« ثم ما لبث بعد ذلك ان بشّرنا بتحقيق امانينا فأعلن في حفلات بلغت آخر حدود الفخامة بفوز اللبنانيين بجلّ مبتغاهم وكل مطاليبهم . وكان ذلك الاعلان شفاء للصدور ومكرمة جديدة اضافتها فرنسة الى مكارمها العديدة السابقة فأنعشت بها آمالنا ووطدت رجاءنا وامّنت مستقبل بلادنا فلها منا الشكر كل الشكر . »

فحيّا الله الرجل الذي يرث التقاليد الحميدة ويحافظ عليها بكل قواه ، ويذكر المعروف في جميع ادوار حياته : في ادوار الحرية والرخاء ، وفي اشد ادوار الظلم والمحنة ! وحيّا ذكره وتبارك ذكر البطريرك اللبناني واسمه فانه كان المثال الاعلى في هذه الامور ! ان دولاً تتغير ورجال الدول يتغيّرون في مبادئهم ويتحوّلون عنها لاجل المصالح الزمنية او السياسية امّا البطريرك اللبناني فقد كان يقول : « انا لا اتغير في مبادئي ولا احيد عنها وان تغيّرت الدول وتقلّبت احوالها وانقلب رجالها . »

وكان يردّد ذلك بعبارات أخرى ايضاً فهو القائل : « انا لا اغيّر مبدئي . انا لا ازال على ثقتي بفرنسة » . كان يقول ذلك البطريرك اللبناني ويفعل كما يقول . وفي هذا التوفيق بين القول والعمل سرّ عظمته وسرّ اجتماع الناس على حبه والثقة به فقد عُرف انه لله ، وللرومية ، ولفرنسة ، عن عقيدة وراثية في طائفته ، فاحترم لثباته ولمجاهرته بها ، وسيبقى ذكره فيها محترماً الى ابد الدهر .

---

١) الذخائر السنية ص ٥١٥ و٥١٦

الرُتب الكهنوتيّة

في الطائفتين المارونية والسريانية

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

٧

٦ طقس سياميذ الحبر (تتمة)

رتبة التبريك البطريركي

يتمّ التبريك البطريركي في الطقسين الماروني والسرياني بالحرف الواحد دون فرق بتَّةً على الوجه التالي[1] :

بعد الفراغ من صلاة الساعة الثالثة يدخل الاساقفة كافة الى المذبح، وياتون بالمنتخب فيضعون على راسه القلنسوة تحتها الاسكيم الاسود، ويفرغون عليه القميص والزنار المزركش والمصنفة والبطرشيل والزندين والغفّارة[2] . ويخرّون جميعاً امام المنتخب فيقول كبيرهم بالسريانية : « ان الروح القدس يدعوك لتكون بطريركاً » الخ. فيجثو المنتخب على ركبتيه، ويقول بالسريانيّة: « سمعاً وطاعة » وبعد ذلك يوارونه وراء المذبح . ويعود كلٌ منهم الى محله . ويستوي كبيرهم على عرش يخفّ به الاساقفة كلهم لانهم يجب ان يشتركوا جميعاً في تبريكه متناوبين في تلاوة الصلوات والحسايات الخ. ثم يبدأ كبير المجمع بالرتبة الاولى: «ܫܘܒܚܐ ܠܐܒܐ المجد للآب. اهّلنا ايها الرب الاله ان نقوم امام مذبحك» الخ. ثم يرتلون باللحن الثالث ثلاث آيات من المزمور العشرين : « يا ربّ بقوتك يفرح الملك » الخ يردفونها بترنيمة : ܐܢܬ ܡܠܟܐ ܕܫܘܒܚܐ الخ . ثم ثلاث آيات اخرى منه يردفونها بترنيمة : ܡܢ ܩܘܕܡ ܡܫܝܚܐ الخ . ثم ثلاث آيات اخرى منه يردفونها بترنيمة : ܒܡܫܡܫܢܘܬܐ ܕܟܗܢܐ الخ . ثم ثلاث آيات

١) نكرّر ما ذكرناه آنفاً وهو ان رتبة سياميذ الاسقف وتبريك البطريرك واحدة عند السريان لا فرق فيها الا في صلاة اقليميس وتسليم العصا .

٢) يعوّض عن الغفارة في الطقس السرياني بطيلسان قرمزي .

ايضاً منه يردفونها بترنيمة : ܐܘܪܐ ܗܢܐ ܕܢܚ ܒܡܫܡܫܢܘܗܝ الخ . ثم المجدلة وترنيمة : ܐܘܣܛܠܝܬܐ الخ.

ويصلي الرئيس او احد الاساقفة : « جدّد بنا يوماً فيوماً » الخ . يردفونها بثلاث آيات من المزمور ٤٤ : « فاض قلبي بكلام صالح » الخ . باللحن الرابع ويتبعونها بترنيمة : ܒܪ ܡܠܟܐ ܘܐܠܡܣܟܢ الخ. ثم ثلاث آيات اخرى منه مع ترنيمة : ܐܡܪ ܗܘ ܦܘܠܘܣ الخ . يختمونها بالمجدلة وترنيمة : ܠܟܠܗ ܥܡ ܠܗܘܢ الخ .

ويصلّي احد الاساقفة : « اللهمّ يا من كمّل رسله بروحه » الخ . يردفونها بترتيل آيات من المزمور ٧١ : « اللهمّ اجعل احكامك للملك » الخ . باللحن السابع يتبعونها بترنيمة : ܟܗܢܐ ܐܝܟ ܕܠܒܪ ܡܫܝܚܐ الخ.

ويصلي احد الاساقفة : « نعمة الروح القدس الكاملة » الخ . ثم يتناوبون بترنيم آيات من المزمور ١٣١ « اذكر يا ربّ داود » الخ . يتبعونها بترنيمة : ܦܠܚܝܢ ܠܟܘܡܪܐ الخ . ثم المجدلة وترنيمة : ܗܘ ܕܐܠܗܘܬܗ ܟܗܢܐ الخ[1] .

وعند ذاك يطوف احد الاساقفة حول المذبح وفي الكنيسة بالمبخرة يرافقه كاهنان وشماسان في مروحتين وشمعتين . ويرتّل احد الاساقفة الحاي : « تسبيحاً دائماً لا مثيل له » الخ . ثم : « ايها الاله الذي يسمو على كل شبه » الخ . يلي ذلك اربعة ابيات بوزن ܐܠܗܐ ܐܠܗܐ الخ . ويقول احد الاساقفة العطر : « ايها المسيح قوّة الآب وحكمته » الخ . ويقول الرئيس : « السلام معكم » . ويجيب الشعب : « ومع روحك » ثم يرتل الزومار : « لان الربّ اتكالنا » الخ . ويقرأ احد الاساقفة من اعمال الرسل (١ : ٢-٨ و ٢٤ - ٢٦ و ٢ : ١٤-٢٢ و ٢٣ و ٦ : ٢-٧ و ٨ : ١٤-٢٢) . ويقرأ اسقف ثانٍ من (١ بطرس ١ : ١٣ و ١٥

---

١) قال السيد دريان (ص ١٥٦) ما ملخصه : ان مقدمة هذه الرتبة البطريركية تختلف عن كل المقدّمات السالفة بمزامير وقوقليونات وسطيخونات لحنها مجهول عندنا . وعدم معرفة تلحينها قد ذهب برونقها . اه . اما السريان فقد اصطلحوا على ترنيم هذه الادوار بنغمة مخصوصة . ونودّ لو تعلّم ترنيمها الجميع حرصاً على النظام وازدياداً لرونق الرتبة .

و١٦ و٢:٧ و٥:١-٤) . ويقرأ اسقف ثالث من (١ طيم ١ : ١٨ و١٩ و٣ : ١-٦ و١٣ و٥:١٩-٢٢ و٦:١١ و١٢ ١٦). ثم ينشدون الملال :« لاجل هذا مسحك الله » الخ . ويرتل الرئيس الانجيل من متى (١٦:١٣-٢٠) ويكون الرئيس اذ ذاك منتصباً على درجة المذبح متجهاً نحو الغرب ، ويكون المنتخب متجهاً نحو الشرق وكتاب الانجيل على كتفيه وظهره[1] .

وبعد نهاية الانجيل يستوي الرئيس على كرسيه ويأتي اسقفان بالمنتخب الى جنوبي المذبح فيقف عند جنحه ويتلو صك ايمانه مكتوباً بخط يده على هذا النمط :« انا الحقير فلان بن فلان المدعو برحمة الله وانتخاب هذا المجمع الى معالي المقام البطريركي أؤمن ايماناً ثابتاً » الخ . ويمضي الصك ويدفعه الى الرئيس ليُحفظ في خزانة الكرسي.

ثم يأتي بالمنتخب اسقفان الى امام المذبح فيجثو على ركبتيه وعليه حلّة رهبنته[2] . فيبدأ الرئيس بالرتبة الثانية ، وهو منتصب امام المذبح ، ويقول بعد المجدلة :« ايها الرب الفارقليط » الخ. ويتلو الاكليرس مزمور « ارحمني يا الله» مع الابيات السريانية . ثم يبدأ الرئيس بالحساي :« مجداً واحداً مثلث الاضواء» الخ . ثم :« نبتهل متضرعين الى عذوبة رحمتك » الخ . يردفونه بستّة ابيات ܒܣܝܡܐ ܘܐܚܝܕ ܡܫܒܚܘܬܗ الخ. مسبّقة بالمزمور ١٥٠ ثم يتلو الرئيس العطر: « لبهاء مجد عظمتك ايها السامي » الخ.

---

١) السمعاني: على كتفيه وعنقه. وفي الطقس السرياني يكون. كتاب الانجيل مفتوحاً على ظهر المنتخَب

٢) قال المجمع اللبناني (٢٧٩) ان اسقفين يترعان الفنارة والمصنفة عن المنتخَب. ولا ذكر للفنارة في النص السمعاني ولا في الطقس السرياني. اماّ الاسكيم ، وهو حلة الرهبنة ، فيجب ان يبقى في راس المنتخَب . قال المجمع اللبناني (٢٢١) : ان الكهنة من الرهبان والاحبار انفسهم ينبغي ان يحفظوا الاسكيم لدى مباشرتهم خدمة الاسرار المقدسة ولا يكشفون رؤوسهم. . . ومتى كان احد الرهبان في انحاء المغرب واراد ان يتلو هناك القداس وجب عليه ان يجري على عادة البلاد بكشف رأسه دفعاً للعثار . . . غير ان البطريرك يعقوب اجاز للرهبان اللبنانيين ان يترعوا عن رؤوسهم الاسكيم الرهباني في وقت القداس ولو كانوا في سورية وسائر المشرق . . . اما غيرهم من الرهبان فلهم ابقاء الاسكيم الرهباني في اوان القداس.

ثم يتلو الرئيس سراً : « ايها الربّ الاه القوّات » الخ . ويجهر : « واقبل رئيس الرؤساء » الخ . ويؤتى بالمنتخب فيجثو على ركبتيه قدّام المذبح ، فيلتفت الرئيس الى الغرب ويقول: « السلام معكم .» ويقول الشعب: « ومع روحك ». ثم يأمر الرئيس واحداً من الاساقفة فينادي في باب المذبح : « النعمة[1] الالهية التي تشفي الضعفاء وتكمّل النواقص وتعتني بالكنائس تدعو وترقّي عبدالله[2] فلاناً الى كرسي بطريركية مدينة الله انطاكية العظمى » الخ . ثم يلتفت الرئيس الى المذبح ويضع يديه على الجسد وعلى الدم ويرفّ بهما ثلاثاً الخ . كما ذكرنا في سياميذ الشماس والقس ويصلي بخشوع سراً : « اجعله اللهمّ مستحقاً لدعوة الحبريّة» الخ ويغطّون يدي الرئيس بغفّارته فيجهر :«ويمجد وراثة قديسيك» الخ . ويتوجّه نحو المنتخب فيضع هو ولفيف الاساقفة ايديهم[3] على راس المنتخب . ويفتح بعض الاساقفة كتاب الانجيل ، عند الاصحاح الرابع من لوقا ، فوق ايديهم ويلوّح غيرهم بالمراوح فوق الانجيل . فيرفّ الرئيس بيديه ثلاثاً فوق راس المنتخب ويصلي صلاة دعوة الروح القدس : « اللهم يا من صنعت جميع السماويين بقوتك »[4] . ثم يصلّون كلهم سراً ، وهم واضعون ايديهم على راس المنتخب ، صلاة اقليميس الروماني المختصة برسامة البطريرك وهي : « ايها الاله الذي صنعت جميع الاشياء بقوةٍ » الخ . ويلتفت الرئيس الى الشعب قائلاً : « السلام معكم » . ويجاوبونه : « ومع روحك ». ويتلو الرئيس سراً : « اللهمّ انظر الينا والى خدمتنا » الخ . ويجهر : « لانك الاله الراغب في الرحمة » الخ.

وهنا يرفع الاساقفة كتاب الانجيل عن راس المنتخب ويحيدون عنه . فيلتفت الرئيس نحو المنتخب ويضع يده وحده على رأسه ويشهر رسامته قائلاً

---

١) ذكر المجمع اللبناني (٢٧٦) ان رئيس المجمع يضع يده على راس المنتخَب قائلاً : « النعمة الالهية الخ .»

٢) في النص السرياني محب الله بدلاً من عبد الله .

٣) في الطقس السرياني لا يضع اليد على راس المنتخَب الا رئيس المجمع فقط .

٤) هذه الصلاة لا يتلوها الرئيس في الطقس السرياني الا في سياميذ الاسقف وهي صلاة دعوة الروح القدس . وفي صحفهم صلاة اخرى تليها تقال للمطران وصلاة ثالثة للمفريان .

بالسريانية : « ارتقى[١] في بيعة الله المقدسة » . فيجاوبه الاساقفة معاً : « فلان بطريركاً على كنيسة مدينة انطاكية المقدسة الابرشية المباركة». ويقول الرئيس : « فلان بطريركاً لكنيسة الارثذكسيين المقدسة التي سبقت فاشتهرت.» ويقول الاساقفة : « بارخمور » فيردف الرئيس اذ يسم المنتخب في جبهته ثلاثاً شكل صليب قائلاً « بسم الآب ✠ والابن ✠ والروح ✠ القدس.» ويقول الشعب : آمين ، عند ذكره كلًّا من الاقانيم الالهية المقدسة . ثم يمسكه الرئيس بيمينه وينهضه وهو يقول : « كيريولوجيون[٢] . ويقول الاكليروس والشعب ثلاثاً : قوريااليسون .»

ثم ان الرئيس يوشح البطريرك الجديد بالمصنفة والنفارة والبطرشيل[٣] الكبير وصليب الصدر والتاج . وهو ينشد في كل مرة بالسريانية : « لمجد واكرام » الخ . ويجاوبه الاساقفة ولفيف الاكليرس بمثل ذلك.

ثم ان الاساقفة يُجلسون البطريرك على كرسيّ ووجهه الى الغرب وهم ينشدون : « لمجد واكرام » الخ . ويمسكون بالكرسي ، وعليه البطريرك ، ويرفعونه ثلاث مرّات ويقول الرئيس ثلاثاً : « اكسيوس يستحق . » ويجاوبونه مثل ذلك . ثم يقال الهلال ويقرأ البطريرك الجديد[٤] من انجيل يوحنا (١٠ : ١—٢١) . وعند قوله : « انا هو الراعي الصالح.» يهتف الشعب جميعاً بالسريانية : « يستحق ويستوجب . » وعند نهاية الانجيل يرتل احد الاساقفة : « فلنقف حسناً بالصلاة » الخ . ويلتفت الرئيس الى المذبح ويصلي سرّاً : « نشكرك ايها الرب الضابط الكل » الخ . ويجهر : « كيما مع جميع الذين ارضوك » الخ. ثم

---

١) في الطقس السرياني ܐܬܡܛܝ : برتقي.

٢) في الطقس السرياني : قرياولوجيون . وقال السماني : ان احد الاساقفة يقول كيريولوجيون ثلاثاً .

٣) قرأنا في مخطوط دير الشرفة القديم (صفحة ١٠ من مجموعتنا) ان بطرشيل الاحبار يُسدَل فوق النفارة على الكتف اليسرى . وفي ذلك يُشبه بطرشيل احبار الارمن.

٤) يكون البطريرك في الطقس السرياني مستوياً على الكرسي مرفوعاً على ايدي الاساقفة والكهنة عند قراءته هذا الانجيل . وهذا عينه يجري حين سيامة الاسقف ايضاً عندهم.

يتوجه نحو البطريرك ويقيمه من الكرسي ويدفع اليه عصا الرعاية بحيث يمسك هو باعلاها، ثم يأتي الاساقفة فيمسكها الاقدم فالاقدم، وفي آخرهم البطريرك واذ يكونون باجمعهم قابضين عليها يهتف الرئيس بنغمة شجية بالسريانية قائلاً: « عصا العزّ يرسل لك الربّ من صهيون » الخ . ويتابعه في ذلك الاساقفة اجمع . ثم يمسك الرئيس بيمين البطريرك ويرفعها فوق ايدي الاساقفة كلهم بحيث تصبح ايديهم تحت يده وينشد الرئيس ثانياً وثالثاً: « عصا العزّ » الخ . ثم يتركون العصا في يد البطريرك وحده وبذلك يدلّون على انهم سلّموا اليه السلطان على جميعهم برضاهم .

ثم يأتون به الى المذبح ويخاطبه الرئيس سرّاً: « اعلم انك الآن ماثل امام الله » الخ . ويجهر: « ايها الاله الذي اصطفى موسى عبده » الخ . وينادي احد الاساقفة الكرازة: « ايها المسيح الهنا » الخ . ويختم الاكليرس بنشيد سرياني في تقريظ الملفان المزدان باسمه البطريرك الجديد . وبعد هذا يصلي البطريرك: « ايها المسيح اله جميعنا » الخ .

واخيراً يجيّي الرئيس والاساقفة البطريرك ويأتون به الى باب المذبح الكبير فيمنح الحاضرين البركة بالعصا ثلاث مرات بشكل صليب . ويتقدم الباقون الى تقبيل يمينه . ويختم البطريرك القدّاس ويتناول القربان المقدس ثم يتناول رئيس المجمع ايضاً ، ويصرف المؤمنين قائلاً: « امضوا بسلام » الخ . وورد في بعض الصحف انه يُستحسن ان يخطب احد الاساقفة في تعداد مناقب البطريرك الجديد والاحبار الذين اشتركوا في تسليمه عصا الرعاية .

ذلك كله يتفق فيه الطقسان اتفاقاً عجيباً تامّاً . ونستنتج من هذا الاتفاق ان رتبة ترقية الاسقف والبطريرك عريقة في القدم جدّاً . ترتقي الى ما قبل القرن العاشر .

وقد اعتاد بطاركة السريان منذ احقاب ان يستكتبوا صكّاً يسمونه سوسطاتيقون ܣܘܣܛܐܛܝܩܘܢ يثبتون فيه وصف سيامة الاسقف الجديد وتفويضهم اليه رعاية ابرشيته . ومثل هذا الصك البطريركي مشهور عندهم يعتني ناسخه شديد الاعتناء بتنميقه وترويقه . ويُلفّ كالدرج ويدفعه البطريرك

الى الاسقف فيحمله الى ابرشيته ويُتلى على مسامع ابناء رعيته عند وصوله اليهم . وقد نشرنا مثل هذا الصكّ على صفحات المشرق (١١ [١٩٠٨]: ٥٦٥) وتشتمل خزانة دير الشرفة والدار البطريركية وخزانة الآباء اليسوعيين في بيروت على امثال هذا السوطاثيقون البديع الذي يستغرق طوله احياناً زهاء خمسين ذراعاً (انظر الشكل).

الى هنا ما قيّض الله لنا نشره على صفحات المشرق الاغرّ مما ينوط بجميع الرتب الكهنوتية في الطائفتين الشقيقتين المارونية والسريانية. فيا حبذا لو أُنشئت لجنة من مفكري اكليرس كلتا الملّتين الكريمتين تدرس الصحف السريانيّة القديمة الثمينة وتنظر في اصل هذه الرتب وفصلها وتعمل الرويّة في كلّيّاتها وجزئيّاتها فتنتقي منها ما هو الاحقّ بالاتّباع وتعرضه على السادة الاحبار الاجلّاء ليوافقوا على نشره بالشكل الكامل. وهكذا يجري استعماله كسائر الاحقاب بنظام واحد في الطائفتين كلتيهما . حقّق الله تعالى الآمال.

جولة في المجلات

الازياء في الاجيال الوسطى — الادب والعلم والفن في مصر بعد خمسين سنة

الازياء في الاجيال الوسطى

ظهر في ايلول الماضي عدد بمجلة « الكلية » السادس والاخير لا من مجلدها الثامن عشر فقط ، ولكن من « الكلية » ايضاً كما ظهرت الى يومنا بحلتها وموادها . فان ادارتها ودّعت القراء ووعدتهم بالظهور بشكل جديد ، انسب الى ما تراه موافقاً للحالة الحاضرة ، اذ كثرت المجلات والصحافة بين العامة . فقالت ان الجامعة الاميركية في بيروت « توجّه القوى الى اصدار الكتب العلمية ونشر المخطوطات القيّمة التي هي من ثمار التخصّص » . وفي هذه المناسبة نشكر للرصيفة ، عند احتجابها ، خدماتها للادب ونروي عنها باختصار مقالاً على الازياء موقعاً باسم الدكتور ل . ا . ماير . (ص ٤٣٨)

الكلام انما هو على ازياء الرجال . وان هذه الازياء لا تزال شائعة بين فلاحي فلسطين مع تغيّر طفيف طرأ عليها . كان السلاطين يخلعون الخلع ثياباً تتفاوت قيمتها مع تفاوت رتب المخلوع عليهم ومع تقلب الظروف ، وكان اهداء الثياب من الاعلى الى الادنى يعد تقدمة اكرامية ، ومن الادنى الى الاعلى رشوة او برطيلاً . ولم تكن الازياء تختلف مع اختلاف المهن والاديان فقط ، ولكن مع اختلاف درجات الوظائف ايضاً .

(مصادر الكلام على الازياء) كتاب السلوك للمقريزي ، وكتاب معجم اسماء الازياء عند العرب للمستشرق دوزي ، وغير ذلك من كتب اخبار ايام العرب ، ومن كتب الانشاء لموظفي الحكومة ، منها مطبوع ومنها غير مطبوع وهو مخطوط وعليه صور وزخارف . على ان الاسهاب ناقص في ما يود الاثري حالاً ان يجده في المخطوط مما يعمه من امر الازياء .

وهناك اخبار السياحات في الاراضي المقدسة وسورية ومصر ، وما اوحته الى المصورين ، عند تصاويرهم ، ازياء الشرق وغير ذلك مما بلغت معرفته الفنانين الافرنج فصوروا الازياء واتقنوا التصاوير وهي مطابقة لاقوال المؤرخين العرب ، وبعضها يدلّ على ان المصوّر عرف الشيء الذي وصفه لا عن حديث غيره ولكن عن شهادة عين . وهذه بعض المعلومات عن اهم الملابس :

القميص : ليس له ذكر.

القباء : تلبس فوق القميص ، وهي تترية الاصل يؤثر في صنعها الحرير الملوّن ، لها كُمَّان قصيران ضيّقان . كان الامراء المصريون يتقلدون السيف فوق القباء جاعلين الصولاق على اليمين . كان القباء رداء طويلاً مصنوعاً من الاطلس الاحمر ومزركشاً بالقصب ، وله طراز على حاشيته ويبطن كله بفرو.

الحزام : كان من نسيج رفيع حرير او شاش.

المنطقة او النجاد : كانت من القصب الفضي او الذهبي ، وهي لباس المسلمين بمقتضى الحديث والتفسير . وكانت قيمة المنطقة او النجاد عظيمة.

الطربوش او الشربوش.

القبعة : من مواد قاسية كمواد الطربوش او الشربوش ، ولا يلفّ عليها شيء . تصنع اصلاً من فرو ، وتحشى من الداخل ، وهي مخروطية الشكل.

الكالوطة : اخف من الشربوش وزناً ، وهي قبعة صفراء مخرجة تخريجاً عريضاً ذات كلاليب تلبس مع العامة او بدونها.

التخفيفية : اي العامة الخفيفة.

الطاقية : وهي في الاصل قبعة يلبسها الشبان والشابات . كانت مسطحة الشكل متنوعة الالوان يبلغ طولها نحوًا من خمسة قراريط ، ثم زاد علوها حتى بلغ ١٨ قيراطاً . وجعل اعلاها مستديراً ، وشكلها كالقبة.

القلنسوة : كانت احطّ جميع البسة الراس ، وهي عبارة عن قبعة صغيرة تلبس تحت العمامة.

الخف : للرجل وكان يصنع من الجلد البلغاري المدبوغ.

السقمان : يلبس فوق الخف.

المركوب او الترجيل : كان اثقل وزناً من الخف ، يصنع من السختيان الاحمر وينتهي براس معقوف الى الاعلى.

العمامة : كانت قطعة اللباس الذي يمتاز به العلماء عن سوام.

الطرحة : لرجال الدين ايضاً تلفّ حول العمامة دون شدّ ، او تبسط على الكتفين ، وفي كلا الحالين كانت تتدلى وتغطي قسماً من الظهر.

الطيلسان : يشابه الطرحة.

الفرجية : كانت رداء علماء الدين ، تصنع من صوف او من حرير . او من قطن وهي نوعان الفوقانية والتحتانية . وللفرجية ازرار واربطة مزخرفة.

الجبة والبيقار.

وقال الدكتور ماير عن البسة السلطان :

ولدينا شروح ضافية للزي السلطاني . فكان السلطان من المماليك يلبس يوم تنصيبه ثياباً سوداء ، واللون الاسود هو ما امتاز به العباسيون . وكان من

شعار الوظيفة عمامة سوداء وجبة سوداء التي بطراز الذهب . ولكن السلطان كان عادةً يرتدي ثياباً بيضاء . ولم يكن يظهر بثيابه البيض فقط بل حين كانت الحال تقضي بذلك كان يتزيا بزي زهد كما حدث سنة ٨٣١ للهجرة حين منيت مصر بقحط مخيف وقدّم اهل البلاد كافة التضرعات من اجل فيض النيل . كان السلطان حينئذٍ يلبس جبة بيضاء وعمامة صغيرة من اللون نفسه ويرخي لها عذبة تتدلى منها الى الوراء . وكان يلبس فوقها عباءة صوف بيضاء ويمتطي صهوة جواد عار مما كان عادة يزدان به في الاوقات الاخرى كالسرج المعرق بالذهب وما يجلله من الحرير النفيس .

وكانت ثيابه عادة جامعة لالوان كثيرة وان كان في المواقف الرسمية يرتدي الثياب البيض التي كانت مزيجاً من الزي العسكري والزي الديني . وكان اهمُّ شيء فيها لباس الراس . ونعلم ان السلطان كان في بعض الاحيان يلبس شربوشاً لان بيبرس منح لقلاوون شربوشه مرة . ونعلم من الجهة الاخرى انه في عهد المماليك البحريين كانت عمامة السلطان تمتاز بعصابتين . وفي هذا الزمان كان مجرد ذكر العصابة ينقل الى الخاطر مظهر شيء متطاير في الهواء . ولذلك كانت الاعلام السلطانية ، التي تتألف من قدد قماش طويلة مثلثة الشكل ومربوطة بالرماح . ومع كرور الزمان حذا الامراء حذو السلاطين وانتحلوها هم ايضاً وبعد ان نالت رضى الجمهور صاروا يدعونها قروناً . وبما ان تغرى بردى حاكم القدس الاول هو الذي ادخل هذا الزي الى المدينة المقدسة ، لقب بذي القرون وكانت عمامة السلطان اكبر حجماً من عمامة العلماء .

ف . ت .

الادب والعلم والفن في مصر بعد خمسين سنة

لزميلة « الهلال » استفتاءات غريبة تطلع علينا بها بين وقت وآخر فتشغل طائفة من مفكري القطر الشقيق بتأليف الاجوبة عن اسئلة ان لم تأخذ المطالعين باهميتها الواقعية اخذتهم بما تبعث فيهم من فضول علمي وتشوّق الى معرفة الغريب . وهكذا تستفيد الزميلة مادّة سهلة الإعداد ويستفيد القراء معلومات متنوعة حتى التناقض في موضوع واحد . من ذلك ما بدأته في عدد نوفمبر الاخير من « نظرات في المستقبل » عرضت فيها « حالة مصر بعد ٥٠

عاماً » في الشؤون الاقتصادية والمالية والاجتماعية والثقافية . وقد احببنا ان نطلع القراء الكرام على حالة الادب والعلم والفن في مصر سنة ١٩٨٢ ، على رأي خليل بك مطران قال (ص ٤١) :

« سيكون لنا بعد نصف قرن ما نصبو اليه الآن ، ادباء عالميون وكتاب ينتشر لهم صيت في كل مكان ، وتترجم منتجاتهم البديعة الى اللغات كافة . لا اتكلم على سبيل الامنية ، أنا استنتج محترساً ناظراً الى الغاية من المستهل . فلا شك في ان الاحوال المعنوية والظروف المادية ستتطور ، ولا شك في ان الاديب سيدنو فنه من الكمال المنشود . فقد أرى ان الرخاء واليسر ضروريان لتقدم الفنون الجميلة .

« ومن العسير تعيين الاتجاه الذي تسلكه القصة والرواية في نصف القرن القادم . لكن يمكن الظن بان الفكرة الصوفية — بالمعنى السامي — ستغمر هذه القصص وتعيش بها ولها شخصياتها ، ولأردد كلمة الشاعر الهندي طاغور ، وهي التي نادى بها قادة الفكر في عصرنا الحاضر ، الفكر الحديث الذي فهمنا انه يتجه الى الله بعد ان كاد يتجه في القرن الماضي الى المادة وعبادة الارضيات . قال طاغور في حديث له مع كاتب جريدة امريكية : ان المدنية الغربية قد سئمت ضوضاء الآلة وعافت المادية . وليس امامها سوى الهدوء والسكينة مهرباً . تعبد في قدسه وجه الاله في صمت ملائكي .

« فكأن الحضارة قد تطورت الى اتجاه نحن مبرزون فيه ، قد فطرنا عليه وركزته عهود الاستبداد والظلام في طبائعنا . فانه لم يكن امامنا معاشر الشرقيين سوى الله نستعديه على الاقوياء ونفئ الى ظله الرحيم ونستريح الى ما يسبغه علينا من صبر وراحة بال ، حين كان الصبر قوام الحياة وملاك القوة . وحين كانت راحة البال غذاء ضرورياً لاشباع روحنا الجائعة وتسكين نفوسنا القلقة .

« ان الرواية المسرحية والقصة — صغيرة أو مستفيضة — ستزدهر على طراز مستحدث . كيف لا ونحن الذين ابتدعنا هذا الفن وسمونا به الى الكمال ، فأعطينا للادب العالمي والفن الانساني اثمن درة واعني بها « الف ليلة وليلة » .

ويغلب القصص على عيون الكتب الادبية عندنا من مثل الاغاني وما اليها.

« سيكون الاديب في سنة ١٩٨٢ في رغد من العيش . الكتاب الواحد او الرواية الواحدة تدر على صاحبها آلاف الجنيهات . ويومذاك تكثر شركات النشر والطباعة وترتقي الصحافة وتباع الجرائد بالملايين . وقد لا اغالي اذا حسبت ان مصر ستغدو اروج ميدان للأدب العربي والفكر العربي ، يهرع اليها من سائر الاقطار الشقيقة العباقرة والنبغاء لينضموا الى الاسرة الفنية الادبية .

« ثم لا يبعد ان توجد مدارس في الادب والنقد . وعندي ما يجعلني اعتقد ان علماء مصر سيتممون عمل المستشرقين الذين اقول انهم عاجزون عن اتمامه لبعدهم عن الروح العربية ، ولان بعضهم متعصب من غير وعي يعالج البحوث بطريقة العالم لا بروح الاديب الفنان ، ومن اجل ذلك لا يتغلغلون الى صميم الادب العربي .

« فليطمئن اهل الصناعتين : النثر والشعر ، فان المستقبل لن يبخسهم حقهم انهم لن يكونوا كاسلافهم يعيشون في حمى الامراء ومن فضل ما يسخو به العظماء والكبراء . سوف يكونون قوة يرهب بأسها وتخشى سطوتها . سيكونون القادة الحقيقيين للشعب . وسيتحكمون في القلوب والعقول يهيمنون على الشعب ويكيفون اخلاقه ويصبونه في القالب الذي يشتهون .

« وسيعكس المسرح حياتنا المخبوءة والظاهرة ويعيد الحياة الى تاريخنا المنسي . وسينشط كتابنا الى تأليف القصص السينمائية .

« كل هذا سيؤدي الى تطور اللغة فان تقدم اللغات ظاهرة تدل على حيوية الامم . والادباء هم الذين يستطيعون وحدهم ترقية اللغات وبعث الحياة فيها . »

شذرات

الحالة الصناعية في سورية ولبنان سنة ١٩٣١

نشرنا في عدد شباط الفائت (ص ١٢٨–١٢٩) مقالاً واسعاً عن الحالة الاقتصادية في لبنان سنة ١٩٣١ عرض فيه الكاتب لجميع موارد الثروة اللبنانية وخصوصاً الصناعية منها . وبما اننا وقفنا اليوم في نشرة بنك سورية ولبنان الكبير لسنة ١٩٣١ على لمحة اجمالية في حالة هذه الصناعة لا في لبنان فحسب بل في سورية ايضاً ، فرأينا ان نذكر شيئاً منها اتماماً للبحث :

نرى في الصناعة الحالية مجرى مزدوجاً ظهر من عدة سنوات واخذ يعمل شيئاً فشيئاً حتى بدا بظهر جلي سنة ١٩٣١ . وتأثير هذا المجرى من جهة بان يعمل على تقهقر الصناعات المحلية القديمة بسبب اقفال الاسواق السابقة في بلاد الاناضول وفلسطين والعراق ومصر ، ومن جهة اخرى بان يعزز اتخاذ الطرق الاوربية وانشاء عدة صناعات بسيطة غايتها سد حاجات الاهلين الجديدة المتنوعة، وذلك بفضل الحماية الجمركية .

وهكذا بينا نرى معامل المنسوجات القديمة في دمشق وحماه وحمص وحلب ، والمصابن في انطاكية وطرابلس وصيدا تتابع حركة تأخر بدأت من عدة سنوات ، نرى ان المشاريع الصناعية الجديدة التي اشرنا اليها في نشرتنا السابقة تتابع حركة ازدهار وتقدم على رغم الظروف الاقتصادية العامة التي هي أبعد من ان تعزز مثل هذه الحركة العمرانية . فتكون النتيجة ان ظهر كثير من الصناعات في سنة ١٩٣١ .

وقد انشئت هذه المعامل الجديدة في مراكز تجد فيها منافذ لمحصولاتها الاولية كبيروت ودمشق وحلب واللاذقية وطرابلس . وهذه اشهرها :

— في بيروت : معمل لنسج الحرير ، ٣ معامل للبرانيط والكلسات وما اليها ، ٤ معامل للبرد ، معمل للاحذية ، معمل للفراشي ، معمل لتقطير السبيرتو، معملان للترميد والبلاط القرميدي ، ٧ معامل للدخان والسكاير ، ٥ دباغات ، ٣ معامل للمعجونات الغذائية ، معمل للبسكوتة ، ٥ معامل للشكولاته والمربيات .

— في حلب : ٩ معامل ميكانيكية للنسج ، ٧ معامل للبرد ، ١٠ معامل ميكانيكية للنجارة ، ٥ معامل للسكاير ، ٤ معامل للالواح والبلاط ، دبّاغة ، معمل للسجّاد.

— في دمشق : دبّاغتان ، معمل جوخ ، ٨ معامل للنسج ، ١٨ مطحنة ، مكبسان للزيت ، معمل اعواد ثقاب ، ٧ معامل للسكاير ، ١٣ معملاً للبرانيط والكلسات وما اليها.

— في اللاذقية : معمل لاستخراج الزيت من نوى الزيتون ، ٤ معامل لحلج القطن ، ٤ مكابس للزيت ، ٥ معامل للتبريد ، معمل لحلّ الحرير ، معمل سكاير ، ٤ معمل لتعدين الصخور الاسفلتية.

— في طرابلس : معمل لحلّ القطن ونسجه ، معمل للسيمنتو ، مطحنة ، معمل سكاير.

ثم علينا ان نشير الى مشاريع الابنية العديدة التي تزداد حركتها في كل مكان فتشغل عدداً كبيراً من العملة ، وتعمل على تعزيز معامل البلاط والترميد والالواح والحجارة الصناعية . وكذلك يجب الاشارة الى النقليات بواسطة السيّارات وقد عزّزتها الطرق الجديدة والمحسّنة فراحت تزدهر بازدهار المحصولات الزراعية والصناعية وبازدهار حركة البناء ايضاً.

الحرير

لا تزال اسعار الحرير هابطة في السوق العالمية ، ولا تزال الصناعات الحريرية الممتازة غير مرغوب فيها ، ولهذا فان كمية البزور المفقصة في المناطق المشمولة بالانتداب كانت هذه السنة اقل منها في السنين السابقة. فنتج ان محصول الحرير الاجمالي هبط الى ٠٠٠ ٨٥٠ ٢ كيلوغرام يقابلها ٠٠٠ ٥٧٥ ٣ في سنة ١٩٣٠.

وهي تُقسم كما يلي : الجمهورية اللبنانية ٠٠٠ ٠٠٠ ٢ كيلوغرام

الجمهورية اللبنانية	٠٠٠ ٠٠٠ ٢ كيلوغرام
سنجق الاسكندرونة	٠٠٠ ٤٥٠
حكومة اللاذقية	٠٠٠ ٤٠٠

وقد تابعت « دائرة مراقبة وتشجيع صناعة الحرير » اعمالها المفيدة في الحكومات المختلفة . فعملت على ادخال هذه الصناعة في دير الزور ، ووزّعت

كثيراً من انصاب التوت في حارم ، وانشأت محلات عصرية لتربية الدود في سنجق الاسكندرونة وفي بلاد العلويين وفي لبنان حيث تعاضدت الدائرة المذكورة و«لجنة تعزيز صناعة الحرير اللبنانية» .

اننا نشير هنا الى ان الحكومة اللبنانية تأثرت كل التأثر للحالة الحرجة التي وصلت اليها صناعة الحرير في لبنان ، تلك الصناعة التي كانت تقوم منذ اكثر من قرن بجودة من اهم موارد البلاد ، فاصدرت في آخر السنة قانوناً فتحت به اعتماداً قدره ٤٠٠٠٠٠ فرنك لشراء البزور وتوزيعها مجاناً على المربين .

وقد اصدر في سنة ١٩٣١ ١٤٦ ١٩٧ كيلوغراماً من الشرانق تبلغ قيمتها ٥٤٣ ١٥٨ ليرة لبنانية سورية ، و٤٥١ ٣٤ كيلوغراماً من الحرير القزي (الخلالي) تبلغ قيمتها ٨٢٣ ٨٦٥ ٢٤ ليرة لبنانية سورية .

حلج القطن

نشير خاصة الى ما نالته من نتائج حسنة معامل الحلج التي انشأتها في حمص وحماه الشركة القطنية الفرنسية للمستعمرات ، وذلك في خريف سنة ١٩٣٠ . على ان هذه المعامل التي انشئت متأخرة كما يظهر لم تتمكن مدة موسم ١٩٣٠ـــ ١٩٣١ ان تحلج الا ٦٩٧ ٩١ كيلوغراماً من القطن الخام كان اكثرها من النوع المعتبر المعروف «بلون ستار» وقد اعطى وحده نحو ٠٠٠ ٣٠ كيلوغرام من الالياف . ولكنها مدة الموسم ١٩٣١ ١٩٣٢ حلجت ٠٤٠ ٢٩٠ كيلوغراماً منها ٦٤٠ ٧٣ كيلوغراماً حلجت في حماه و ٤٠٠ ٢١٦ في حمص . وقد بلغ محصول الاليـاف ٥٤١ ٥٤٤ كيلوغراماً من الالياف الاميركية و ١٥٤ ٤٣ كيلوغراماً من الالياف المصرية .

هذا وقد أسست الشركة القطنية للمستعمرات ادارة خاصة لتصنيف القطن فاختبرت هذه الالياف وقررت ان ٨٠٪ منها يمكن وضعه في «الصنف الاول»

صناعة النسيج

يقدر ما نسجته انوال حلب في سنة ١٩٣١ بـ ٨٠٠ ٧٣ ثوب من المنسوجات القطنية و ٨٠٠ ٦١ ثوب من المنسوجات الحريرية الصافية والمختلطة ، و٧٠٠ ١٩ ثوب من الغباني و ٥٠٠ ١١٨ متر من منسوجات الحرير الاصطناعي و ٧٠٠ ٣٥

متر من الكريب دي شين . وهو محصول يعادل محصول السنة السابقة على الرغم من مزاحمة المنسوجات اليابانية.

اما انوال دمشق فنسجت ٥٠٠ ١٠٦ ثوب من المنسوجات القطنية ، و ٥٠٠ ٧٤ ثوب من المنسوجات الحريرية الصافية والمختلطة ، و ٠٠٠ ٦٠ ثوب من الغباني ، و ٠٠٠ ٤٦ متر من البوبلين و ٠٠٠ ٤٧ متر من الكريب دي شين.

وقد ادرك معمل عريضه للغزل والنسيج في طرابلس سنته الثانية . وكان يصدر محصولاً من القطن المغزول يعادل ستين بالة في الاسبوع . وهو محصول مهم فضلاً عما له من القيمة العالية بفضل ترتيب المعمل وانشائه على احدث طراز بلغت اليه الصناعة العصرية مما يجعل الطلبيات تأتيه بوفرة من الاسواق المحلية والاسواق الشرقية المجاورة.

ويجب ان نضيف الى مظاهر صناعة النسيج معامل الكلسات وما اليها وهي حديثة وعديدة في بيروت ودمشق وحلب . وقد نجحت هذه المعامل على رغم المزاحمة الاجنبية واصبحت تقوم بثلث المطلوب من الكلسات . وبلغ ما اصدرته ٠٠٠ ١٨٠ دزينة من الازواج.

الزيوت

مع ان محصول الزيتون زاد ٦٦ ٪ على ما كان عليه في السنة السابقة ، لم تزد في محصول الزيت الا زيادة ٢٢ ٪ فقط ، فقد بلغ ٤٠٠ ١٢٠ كنتال منها نحو ٠٠٠ ٦١ كنتال صالحة للطعام وقد كان في السنة الفائتة ٨٠٠ ١٠٢ كنتال. وما ذاك الا لهبوط الاسعار وصعوبة تصدير الزيت الى الخارج . وقد كانت حصة لبنان ، بفضل نجاح موسمه ، نحو النصف من المجموع العام.

وعلى الرغم من الظروف المعاكسة فقد ظهر التقدم في اصدار زيت الزيتون اذ بلغ المصدر منه ٢٦٥ ٣ طناً قيمتها ٩٦٧ ٥٣٧ ل. ل. س. يقابلها ٩٠٠ ٢ طن سنة ١٩٣٠ و ٥٤٠ ٢ طناً سنة ١٩٢٩ . وقد اصدرت هذه الكميات خصوصاً الى ايطالية (٤١٧ ١ طناً) والى فرنسة (٠٧٦ ١).

وقد بدأت الشركة الصناعية في مناطق الانتداب ، التي اشرنا الى انشائها في نشرتنا السابقة تحت رعاية بنك سورية ولبنان الكبير ، تشغيل معمليها في

اللاذقية وحارم . فعصر معمل اللاذقية نحو ٢٠٠٠ ١ طن من النوى وفضلات الزيتون مستخرجاً منها ١٢٠ طناً من الزيت أصدرت في الحال الى الخارج . والمعملان مستعدان لمتابعة العمل في موسم ١٩٣١—١٩٣٢.

الصابون

تابع عمل الصابون في ٦٠ مصبنة مؤسسة في المناطق الغنية بالزيت كحلب وطرابلس وانطاكية وصيدا ودمشق . وقد اخرجت في السنة ١٩٣١ من ٦ الى ٨ آلاف طن من الصابون شاغلة من ٣ الى ٤ آلاف عامل.

على ان الحواجز الجمركية الجديدة اثرت كثيراً في اصدار هذا الصابون الذي لا يزال يتمتع بشهرته القديمة في اسواق الشرق الادنى فتفقدت المصابن كثيراً من المنافذ القديمة في بلاد الاناضول وقبرس ومصر . ولم تمكنها الطرق القديمة التي لا تزال تسير عليها في عمل الصابون من الحصول على منافذ جديدة . ولكنها اصدرت ٧٤٨ ٦١٣ كيلوغراماً قيمتها ٧٠٠ ٨٧ ل. ل. س. يقابلها ٨٢٧ ١٥٤ كيلوغراماً في سنة ١٩٣٠ ، و ٦٤٠ ٨١١ كيلوغراماً في سنة ١٩٢٩. اما اهم البلاد المشترية فكانت العراق (٤٤٧ طناً) وفلسطين (٣٢٧ طناً).

الجلود والدباغة

عالجت دباغات حلب مدة السنة ١٣٠ ٢ جلداً من جلود الجاموس و٨٣٥ ٣ من جلود البقر و ٦٥٠ ٣٧ من جلود الغنم والماعز و ٤٥١ من جلود الابل.

وعالجت دباغات دمشق ٨٠٠ ٢١ من جلود الماعز ، و ١٠٠ ٤٠ من جلود الغنم ، و٩٣٠ من جلود الجاموس ، و١٧٠ ١ من جلود البقر ، و٥١٠ من الابل .

وقد اصدرت مرافئ سورية ولبنان ٨٥٤ طناً من الجلود المهيأة وغير المهيأة بلغ ثمنها ٨٣٠ ٥١٩ ل. ل. خصوصاً الى ايطالية (٤١٧ طناً) وانكلترة (٥٦ طناً) وفرنسة (٥٣ طناً) .

الصناعة المدنية

ان الشركة الصناعية لاسفلت وبترول اللاذقية استخرجت مدة سنة ١٩٣١ ، وهي سنة عملها الاولى ، نحو ٠٠٠ ١٣ طن من الحجارة الاسفلتية استخدمت منها الحكومة لترفيت طرقاتها ٠٠٠ ٧ طن .

مطبوعات شرقية جديدة

H. du Passage s. j.: Notions de Sociologie. *in-12, IX-243 p. de Gigord, Paris,* 1932.

في علم العمران

غاية الكاتب ان يؤلف كتاباً كاثوليكياً يقوم مقام الدليل في درس هذا العلم العصري الذي يتسع نطاقه يوماً فيوماً. وقد كان يظهر هذا العلم لسنوات عدة كأنه مقيّد بسلطة فيلسوف معروف، هو دوركهيم، محتكر في تآليفه وتآليف تلامذته حتى كاد يتخيّل القوم، على قول احد كتبة العصر، انه لا يمكن الكلام عن العمران الّا اذا ذكر دوركهيم. فكان من اللازم مقاومة هذا التسلّط غير المشروع ببسط رأي الكنيسة الكاثوليكية في موضوع يمس عن قرب حقيقة العلم وخير النفوس. وهذا ما قام به حضرة الاب دي باساج فعرض بكل وضوح العقيدة الكاثوليكية في ما يخصّ تلك القضايا المهمة التي يشتدّ قلق الناس في مشاكلها باشتداد الازمات الاقتصادية والاخلاقية. وهي عقيدة سامية تستحقّ ان يحلّها المفكرون المحلّ الاول. وقد قسم المؤلف كتابه الى اربعة اقسام خصّ الاول منها «بالعمران الاقتصادي» وما يجرّه من درس الانتاج المشترك فيه رأس المال والعمل، وتداول البضائع والنقود وانواع الاعتماد، وتوزيع الاجور، والملكية الخاصة. وتكلم في القسم الثاني عن «العمران الاهلي» وما ينطوي عليه من البحث في العائلة، والمدرسة، وعلاقات المدرسة بالدولة. وفي القسم الثالث عرض «للعمران السياسي» وما يُفهم بالشعب، والدولة، والافراد، والمجموع. اما القسم الرابع فخصّه بالدين والفنّ والعلم ناظرًا فيها من الوجهة العمرانية. وكل هذه الموضوعات عصرية حالية كثيرًا ما يتناظر فيها المفكرون وغير المفكرين ايضاً، فكان من الخير ان نسمع فيها صوت استاذ خبير في ما يقول وما يقرّر.

ي. ك.

Ernst Bergdolt : Beiträge zur Geschichte der Botanik im Orient I : Ibn Wahschhija : Die Kultur des Veilchens (Viola odorata L.) und die Bedingungen des Blühens im der Ruhezeit. [*Extrait des Comptes Rendus de la Société Botanique allemande*, 28 *Juillet* 1932, *pp.* 321-336]

مستندات لتاريخ النبات في الشرق :

١ : كتاب ابن الوحشية في زراعة البنفسج وشروط إزهاره في غير موسمه الطبيعي

هذه طبعة لكتاب غريب من تأليف العالم النباتي العربي المعروف بابن الوحشية كتبه في السنة ٢٩١ للهجرة (٩٠٤) في موضوع خاصّ هو كيفية زراعة البنفسج ومعاملته كي يزهر في غير زمن موسمه الطبيعي. وقد عرّب ابن الوحشية هذا الاثر عن كتاب قديم ألفه باللغة النبطية نبـاتي اسمه قُطَّسمي ولا يكاد يعرف عنه الا انه كان صدى في تأليفه المذكور لتقاليد نباتية ترقى الى عهد البابليين القدماء . ومها يكن من أمر فان اثر ابن الوحشية يفيدنا مـا كان للبنفسج من اهمية صيدلية منذ الف سنة وما كان يقوم به ارباب العقاقير من انواع العناية كي يحصلوا على ازهاره في غير زمنها العادي. ثم في الكتيب ذكر لعدة نباتات مختلفة يدلّ على ان قدماء اهل البـلاد كانوا يهتمون بازدراع انواع من الخضراوات والزهور يهملونها اليوم. وعليـه كان عمل الاستاذ برگدولت من افضل ما يقوم به العلماء لتوفير المستندات القديمة لتاريخ علم النباتات في الشرق. الّا اننا لا نعلم لماذا وحّد ، في الصفحة ٣٢٨ ، بين شجرة التين العادية ومـا يدعى بلغة العلم بـ (Ficus elastica) بدلًا من ان يلحقها بالنوع المدعوّ (Ficus carica) ؟

ب . م .

Lt Col. Sir Wolseley : Comparative tables of Muhammadan and Christian dates. 8°, 32 *p. Prix* : 2 *s.* 6 *d Luzac and C°*, 1932.

جداول للمقابلة بين السنين الهجرية والسنين المسيحية

هو كتاب لطيف المظهر صغير الحجم ، يعرض في ثلاثة جداول مقابلة تامة بين السنين الهجرية والسنين المسيحية منـذ ١٦ تموز ٦٢٢ م . الى آخر القرن العشرين . وللكتيب مقدمة عرض فيها المؤلف كل مـا يلزم من الشروح

والملاحظات والامثلة حتى ما خصّ ادقّ التواريخ واصعبها مقابلة . ولذا فاننا نرى هذا الكتيّب سهل الاستعمال جزيل الفائدة قريب الانتشار ولاسيا في البلاد التي يوءلف ادباؤها التواريخ الهجرية سواء في درسهم التاريخ الشرقي او في فحصهم المخطوطات الاسلامية. ج.ل.

Dr Aurenche : La mort de Stamboul. *in*-12 *de* 356 *pp. Paris, J. Peyronnet et Cie*, 1930

موت استامبول

مجموعة ملاحظات في تطوّر مدينة استامبول على عهد الحكم الجديد نراها جديرة بالاهتمام لانها تقوّم كثيرًا من الاعوجاج البادي في تحمّس البعض للنظام الجديد وفي تحامل البعض الآخر عليه وقد عرف المؤلف المدينة ، لاول مرة ، على عهد السلطان عبد الحميد من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠١ . ثم عاد اليها موءخرًا ، فوجد المجال واسعاً للمقابلة فقابل ، ذاكرًا ما حدث من التطوّرات الّا في المنظر الطبيعي الذي لم يتغيّر فيه شيء يذكر.

André Pierre : U. R. S. S. La Fédération soviétique et ses républiques. *Description géographique, politique et économique avec une carte dépliante en couleurs de l'U. R. S. S. et une carte en noir, in*-12, *broché. Prix :* 12 *fs. Delagrave, Paris,* 1932.

الاتحاد السوفييتي وجمهورياته

كثيرًا ما يتكلم الناس عن روسية السوفييتية ، وكثيرًا ما يأتون ، في شأنها ، بالمجازفات المتنوّعة . على ان القليلين يعرفون ما هي ، وما تمثل تلك الدولة التي تجمع ١٦٣ مليونًا من البشر. فكان فضل هذا الكتاب انه يصف ، على طريقة موضوعية ، مظهر روسية بعد اربع عشرة سنة مرّت على ثورتها . فهو يدرس ما تحولت اليه امبراطورية آل رومانوف ذات السلطة المطلقة من جمهوريات اشتراكية تتحد معاً وتخضع معاً لسيطرة الحزب الشيوعي ولارادة ستالين. كيف يتم النظام في هذا الاتحاد؟ وما هي الشعوب والعناصر التي تعيش في تلك البلاد الواسعة ، وما هي مقدّراتها الاقتصادية؟ وكيف تتمكن حكومة موسكو من السيطرة على هذه الشعوب المتنوّعة؟ كلها اسئلة جوهرية

يجيب عنها الكتاب المذكور . وهو بما فيه من خارطتين جديدتين لروسية في سنة ١٩٣٢ ، يبدو لازماً بل ضرورياً للاساتذة والمشترعين ، والصحافيين ، وارباب السياسة ، ولجمهرة الادباء ايضاً .

Pierre Maranget : Jésus-Christ dans les peintures des Catacombes *in-12 de 96 pp. sur papier pur fil Lafuma,* 10 *dessins et* 32 *pl. d'illustrations en héliogravure hors texte. Prix* : 10 *f*. *Editions Dillen et Cie, Paris.*

يسوع المسيح في تصاوير الدياميس

شاء مؤلف هذا الكتاب ، وهو سكرتير « جمعية اصدقاء الدياميس » ان يهدي الى زملائه والى من يهتمّ بهذا الموضوع من القراء ، دليلاً اميناً واقفاً على احدث الاكتشافات ؛ فكان له ما شاء . وان ما يعرضه من تصاوير العذراء ، والطفل يسوع ، والعجائب ، والحديث مع السامرية ، والصور الرمزية كالراعي الصالح واورفه والسمكة ، يفيدنا كل الفائدة اذ يطلعنا على عقلية المؤمنين في صدر النصرانية في رومية ، فضلاً عمّا يستخرج منه من تعليم صحيح ومثل صالح . ج. ل.

René Puaux : Revenons en Grèce. *Société commerciale d'Edition et de Librairie, Paris.*

هيّا نرجع الى بلاد اليونان

مؤلف هذا الكتاب من المعجبين ، عن اطلاع ودرس ، ببلاد اليونان وآثارها . فهو يظهر التحيّز لها دون احتياط ولا تحفظ ، وهو لا يميّز بين اليونان الاقدمين واليونان المعاصرين ، فيتكلم عن الجميع بلهجة واحدة وعن اطلاع واسع ، ولا عجب ، فانه يزور تلك البلاد للمرة السابعة . وسوف لا ينساه اهلها ، أنّى وجدوا ، لما بذله في سبيلهم وفي سبيل وطنهم من المساعدات في ظروف صعبة واحوال شديدة اكتنفتهم فيها ضروب اليأس اذ تحققوا ان الجميع يعرضون عنهم بل يتناسونهم . اما في المجلد الحاضر فيعرض لنا المؤلف التأثيرات والملاحظات التي خطرت له في سفرة طويلة في تلك البلاد وخصوصاً في منطقة المورة ، يخلل ذلك بحوادث ونوادر استقاها من التاريخ حيناً ومن الميتولوجيا

احياناً . على ان في هذه الملاحظات من الحوادث والتعاليق ما يأسف له المطالع لما فيها من المس باخلاق الاديب ومن يجرح لعواطف المؤمن ، فضلا عن كونها لا تفيد في شيء الغاية التي اختطّها الكاتب لنفسه وهي : ان يظهر لنا ان تاريخ اليونان وحياتها الحاضرة لمن العوامل الفضلى التي تساعدنا على ان نجابه ، برباطة جأش وارتياح الى الامل ، ما يأخذنا اليوم من ازمة اخلاقية وثقافية . وهو معنى العنوان الذي توّج به الكتاب المذكور فقال: « هيّا نرجع الى بلاد اليونان ! » .

ب . ك .

Fr. Calot, L -M. Michon, Ch. Charrier : L'Art et les artistes. XVII[e] et XVIII[e] s. *in-12, illustré. Paris, Libr. Hatier*, 1930

الفنّ وارباب في القرنين السابع عشر والثامن عشر

هو كتاب تعليمي خصّه مؤلفوه بتلامذة الصف الثاني من التعليم الثنوي . على انه يستحق الا يحصر في هذا النطاق لما يفيده من تثقيف المطلع وايلائه العادة الصحيحة في فهم المناظر والمشاهد . وفي الكتاب قسمان ضمنهما فصول يختص كل منها ببلد او بمذهب في الفنّ . ففي القرن السابع عشر فصول عن ايطالية ، وفرنسة ، والتصوير الفلمنكي ، والهولندي ، واسبانية . وفي القرن الثامن عشر عن فرنسة ، والتصوير الانكليزي . كل هذا بمظهر شائق من جودة ورق ، وحسن طبع ، ورسوم مختارة اختياراً موفّقاً . ج . ل .

Ch. J. Alleaume : Mgr Jullien.

P. Archambault : Georges Fonsegrive. *Chaque volume de* 160 *pp. broché*, 12 /[f]. *Paris, Bloud et Gay.*

المونسنيور جوليان — جورج فونسگريف

مجلدان بدأت بهما مجموعة جديدة اسمها « قادة جيل » يعني انها تعرض لذكر من مات مؤخراً من قادة الافكار الذين كان لهم الاثر المهمّ في العالم الكاثوليكي . والمجموعة لا تهتمّ بترجمة حياتهم فحسب، بل تبسط افكارهم وآراءهم وتدرس بيئاتهم المتنوعة . وها انها بدأت بذكر اسقف كان من اعضاء المجمع العلمي وفيلسوف كاثوليكي شهير ، فحسناً صنعت وبشرت بنجاح باهر ان شاء الله !

G. Bardy : L'Eglise à la fin du 1er siècle, [*Bibliothèque Catholique des Sciences Religieuses*] 1 *vol. in-12 de* 134 *pp. Prix* : 12 *f*r. *Bloud et Gay, Paris*, 1932.

الكنيسة في آخر القرن الاول

بين موت الرسولين الكبيرين القديسين بطرس وبولس وقرار ترايان الى پلينوس الاصغر ، قضت الكنيسة سنوات حاسمة في تاريخها . في ذاك الحين كان القديس يوحنا ينهي حياته الطويلة في افسس فيكتب « الرؤيا » و«رسائله» و« انجيله » . وكان القديس اكليمنضوس في رومة يكتب الى مؤمني كورنتية رسالة ظهرت فيها واضحة كل الوضوح رئاسة كنيسة رومة. وكان في انطاكية القديس اغناطيوس ، قبل ان يستشهد ، يكتب رسائله الشائقة عن قوة ايمانه وعمق محبته للمسيح . على انه في ذاك الحين ايضاً كانت البدع المختلفة تهدّد الوحدة الكاثوليكية فمن نزعة ارباب اليهودية - المسيحية الذين كانوا يدعون المؤمنين الى الخضوع الاعمى المطلق لنصّ الشريعة الحرفي ، الى الدوكيتين الذين كانوا ينكرون حقيقة جسد المسيح الى غيرهم من ارباب المخاطر الذين كانت الكنيسة تحاربهم بوضوح تقليدها وقوة نظامها وثباته . هذا العصر المهمّ لفت نظر المؤلف فجرّب ان يصور، في مجلّد صغير، كلّ ما نعرفه عن تلك السنوات الحاسمة ، وهو اول من يقرّ بنقص كتابه . على انه يرجو ان ما ذكره فيه يدفع المطالعين الى الرغبة في زيادة معلوماتهم وتعزيز ايمانهم .

Kirsch (Dr Johann Peter) : Kirchengeschichte. *gr. in*-8°, *Freiburg im Breisgau, Herder*.

IV Band : **Veit** (**Dr Ludwig Andreas**) die Kirche im Zeitalter der Individualismus 1648 bis zur gegenwart. 1 Hälfte : Im Zeichen des vordringenden Individualismus 1648-1800-XXIV *u*. 528 *pp*. 1931. *M*. 14,80.

الجزء الرابع من تاريخ الكنيسة

اشرنا في « مشرق» السنة الماضية (ص ٥٥٢) الى ظهور الجزء الاول من تاريخ الكنيسة الذي يهتمّ بنشره الدكتور كيرش . وها ان الجزء الرابع يظهر اليوم مكتوباً بقلم الدكتور ڤيت شاملاً تاريخ الحقبة من سنة ١٦٤٨ الى سنة

١٨٠٠ ، وهي قسم اول من عصر يسميه المؤلف عصر « النزعة الفردية » ، وهو عصر لم ينتهِ بعد . وقد صوّر فيه المؤلف الكنيسة تقاوم هـذا الروح المتفرّع عن البروتستانية سواء اكان في نظام السلطات السياسية ام في مظاهر المدنية ام في الثورات المختلفة.

اما الكتاب الثاني فخاصّ بالحركة البروتستانيـة ، وتطوّرهـا على اثر احتكاكها بالافكار العصرية ، وموقفها من الكثلكة ، وارسالياتها ، واوليات تاريخ الولايات المتحدة.

واما الكتاب الثالث فيهمّ هذه البلاد اكثر من غيره. لانه يعرض بتبسّط للبطريركيات الشرقية ورعاياها ، ولعلاقـات مسيحيي الشرق برومة في القرن الثامن عشر . ثم يعرض للكنيسة الروسية وكنائس اوربة الشرقية.

كل هذه المعلومات تُظهر المؤلف على اطّلاع واسع ومقدرة تبدو خاصة في ترتيب مادة على قسطٍ وافر من الصعوبة وكثرة المستندات. يتحقق المطالع ذلك اذا قابل هذا التاريخ الجديد بتاريخ الكنيسة لهرگنروتر (Hergenrœther) فيرى التقدم العظيم الذي حقّقه المؤلف في بعض الاقسام. ج.ل.

Jean Piéri: La fièvre exanthématique du littoral méditerranéen ou fièvre boutonneuse. 1 *vol. in-8° de* 86 *pp. avec* 18 *fig. dans le texte. Prix:* 30 *f. Librairie Octave Doin, Gaston Doin et Cie, Editeurs, Paris.*

الحمى الجلدية او البثورية على شواطئ البحر المتوسّط

يظهر ان المعلومات الطبية عن هذه الحمى الظاهرة بثورها على الجلد والمتفشية عادة على شواطئ البحر المتوسط قد اصبحت كافية حتى تمكن احد الاطباء من ان يدرسها درساً جامعاً. فيستعين بالاختبارات التشخيصية والتشريحية والتحاليل المتنوّعة ويقرّر انه يمكن الحاقها بالحمى البثورية المعروفة في تونس . هذا وان ما تمتاز به هذه الحمى ظهورها الحديث في فرنسة ، وصلتها بالحميّات الشبيهـة بالتيفوس وصفتها الجلدية ، والعامل الـذي ينقل مكروبها وهو قراد الكلب (Rhipicephalus sanguineus) . على انها ، وان شابهت التيفوس في كثير من مظاهرها ، تظلّ اخف منه وطأةً واسلم عاقبة.

Dr Henri Diffre : Gymnastique corrective des déviations vertébrales 72 ***pp. in-12 avec 88 illustr. dans le texte. Prix :*** **6** ***f*****. *Paris, Editions Berger-Levrault.***

تمارين رياضية لاصلاح الخلل في العمود الفقري

لا يستغني عن هذا الكتيب احد من المربين وسائر من يهتمون بالصغار لانه في هذا السنّ تبدأ العادات في القيام والجلوس والحركة التي قد تضرّ باستقامة العمود الفقري . وقد شاء المؤلف ان يطلع الجميع على المظاهر الاولى لهذا الخلل ، وعلى طريقة سيره ، وعلى استعمال الوسائط الناجعة لاصلاحه وتقويمه .

كتاب تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر اصلها بحروفه

بقلم القس طوبيا العنيسي الحلبي اللبناني

عني بنشره وتصحيحه وتعليق حواشيه يوسف توما البستاني ، طبعة ثانية — ٨٠ ص. كبيرة — مصر ، ١٩٣٢

لقد توفق المؤلف بدرس الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية وذكر اصلها الاجنبي من اللغات المختلفة . وهو يكتب هذه الاصول ، حتى اليوناني منها ، بالحروف اللاتينية . والكتاب غزير المادة قد يرى فيه المطالع الفاظاً لا يمكن اعتبارها دخيلة لكونها لم تدخل اللغة العربية بعد وليست الّا منقولات بالحرف عن اللغات الاجنبية « كالبترول » و« البالون » وما شاكلهما ممّا لم يكن من اللازم ذكره . وهناك ايضاً من الكلمات ما لا يزال اصله في طور المناقشة كلفظة « ارضي شوكي » مثلاً بصيغتها الحالية فان المؤلف يردّها الى الفرنسوية بينا الكثيرون من لغويي اوربة يعتبرونها عربية الاصل . وعلى كل فان عمل المؤلف جدير بالذكر والثناء. ه. ل.

ابن خلدون

عدد خاصّ من مجلة « الحديث » ، حلب ، ١٩٣٢ — ١٠٠ ص . متوسطة

بمناسبة مرور ستمائة عام على ولادة ابن خلدون ، نشرت مجلة « الحديث » الحلبية جزءاً خاصاً اشترك في تحريره عدد من الادباء. فعرضوا لابن خلدون على نواحي شخصيته المتعددة : فكان منهم من درس آراء ابن خلدون في الفلسفة ،

وغيرهم في الاجتماع ، وآخرون في السياسة والاقتصاد ، ومنهم في الادب والعلم الخ . . فرأينا في هذه الدروس الدقيق الصحيح ، والمتوسط المقبول ، والسطحي الضعيف . ولم يشأ محرر المجلة ، الاستاذ سامي الكيالي ، الّا ان يعرض لرأي ابن خلدون في العرب ، وان يناقشه رغبة منه في انصاف العرب . فكان من ادلته ان ردّ على قول الفيلسوف المؤرّخ المفكر بقول الشاعر ڤيلاسپاسا الذي نعته «بالمستشرق الاسباني الذائع الصيت» (كذا ص ٨١) وهو لو درس عناصر تلك المدنية المنسوبة الى العرب «بالعين المجرّدة» و«على ضوء البحث الحديث» لخفّف من وطأته على ابن خلدون . ومما يستحق الذكر في هذه المجموعة بعض احكام دقيقة في ما خصّ قيمة ابن خلدون التاريخية . وقد سررنا اذ رأينا بعض ادباء السوريين اخذوا يجرأون على قول الحقيقة في قيمة الدكتور غوستاف لوبون (ص٩٩ و١٠٠) ذاك الكاتب الغريب الشأن بل المدعي العجيب الجسارة الذي نشر كتاباً ضخماً في «مدنية العرب» من غير ان يعرف كلمة واحدة من لغتهم ولا من آدابهم . ه . ل .

المنهج

لجماعة السريان الكاثوليك في ابرشية حمص وحماة والنبك وتوابعها

بيروت — المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٣٢ — ٦٢ ص . صغيرة

حبذا الكتيب «منهجاً» وقد امر بنشره الحبر الغيور السيد تئوفيلس رباني مطران حمص وحماة والنبك وتوابعها ، بعد ان وقف على آراء اكليروسه الموقّر ، ملتئماً في مجمعين . فجاء المنهج ، على صغر حجمه ، دستوراً روحياً كاملاً ، مسبوكاً بعبارة انيقة بسيطة ، لا ينقصها شيء من الوضوح ولا من الدقة القانونية .

وقد صدّره صاحب السيادة برسالة رعوية في وجوب تأدية الزكاة او العشور ، نودّ ان يطالعها ليس ابناء ابرشيته فحسب ، بل جميع المؤمنين في شرقنا العزيز ، لما تضمّنته من الحكم العملية الشائقة المبنيّة على امتن الأسس الدينية . ش . ا .

Almanacch Français pour 1933. Beyrouth. *in-12 de 224 pp. illustré. Prix : 5 f. Imprimerie Catholique, Beyrouth*, 1932.

التقويم الفرنسوي لسنة ١٩٣٣

هو التقويم الجامع الذي تنشره المطبعة الكاثوليكية منذ اربع سنوات محتوياً على جميع لوازم التقويم من دينية وتاريخية ومدنية ، وعلى كثير من الرسوم الجميلة والابحاث النفيسة في بلادنا وما يتعلّق بها . هذا ومن مميّزات تقويم هذه السنة طريقة دقيقة لحضرة الاب بوبيج اليسوعي في مقابلة التاريخ الهجري بالتاريخ المسيحي، وبحث ملخّص مفيد عن تاريخ الخطّ العربي وتطوّره وانواعه ، ولمحة تاريخية في دير صيدنايا ، ولائحة بسكّان لبنان .

تقويم البشير لسنة ١٩٣٣

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي

٢٤٨ ص. متوسطة - المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٢ - الثمن : ٢٥ غ . س.

يعرف قرّاؤنا الكرام ما يحتوي عليه هذا التقويم المشهور من فوائد متنوعة في موضوعات التاريخ والعمران على اختلاف نواحيها. ومما امتاز به الجزء الحاضر بحث نفيس في مستقبل البلاد الاقتصادي ، وجدول باسماء جميع المدن والقرى اللبنانية البالغ عددها ١٦٥٥، مرتّبة على الحروف الابجدية ؛ ثم لمحة تاريخية عن جريدة «البشير» و«تقويمها». وقد زيّن بـ ١٦ صفحة من الرسوم الجميلة وبخريطة لمدينة بيروت. فاتى جامعاً ، لشتى الفوائد والمعلومات بمظهر حسن وطبع انيق .

روزنامة سيدة التلة الكنسية وتقويمها الكنسي لسنة ١٩٣٣

تأليف الاباتي افرام حنين الديراني الحلبي اللبناني

هي الروزنامة الكنسية المشهورة التي يصدرها حضرة الاباتي الفاضل منذ ٢١ سنة جامعة للتاريخين المسيحيين الغربي والشرقي وللتاريخ الاسلامي مع ذكر الاعياد في الطوائف المختلفة وما يلزم الكهنة معرفته من واجباتهم الرعوية على مدار السنة . وقد اهدى الينا معها هذه السنة تقويماً صغيراً في ٤٨ص. متوسطة يظهر للمرة التاسعة جامعاً لشتى المعلومات الكنسية وبعض الفوائد والنصائح . فنشكر لحضرة الاباتي العامل هديّتيه، ونشير الى انهما تطلبان من حضرته في دير القمر ، ومن مخزن الخواجات خليل حنين واولاده في سوق الجميل، بيروت .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ت ١ — ١٥ ت ٢ ١٩٣٢

لبنان وسوريه — احتفل بعيد الهدنة في ١١ تشرين الثاني

* بدأ المجلس النيابي السوري اجتماعاته في ٢٩ تشرين الثاني فانتخب صبحي بك بركات رئيساً . وبعد ان تردد الوطنيون في الاشتراك بالجلسات عادوا فاشتركوا ، ولم يحدث ما يستحق الذكر سوى ان المجلس باشر تأليف اللجان المختلفة .

* اكتشف بعض الفضائح في دوائر الاشغال العامة اللبنانية فأحيل عدد من موظفيها وعدد من الملتزمين ايضاً الى التحقيق ، ولا يزالون في السجن .

* انتهت الامتحانات في مكتب الحقوق الافرنسي ففاز بشهادة المأذونية سبعة عشر

جبل الدروز — احتفل احتفالاً شائقاً بالعيد الوطني في ٢٦ تشرين الثاني .

العراق — تفكر الحكومة في تطبيق الخدمة العسكرية الاجبارية على العراقيين الذين عمرهم بين ١٨ و٣٥ سنة .

* تقرر ان تشترك العراق في نفقات جمعية الامم بمبلغ ٧٠الف فرنك سويسري في السنة .

* استقالت وزارة نوري باشا السعيد .

* حلّ البرلمان في ١٠ تشرين الثاني .

* تتابعت المفاوضات بين العراق والحجاز في تسيير سيارات على طريق القوافل القديمة بين بغداد والمدينة .

مصر — خرج بعض الزعماء البارزين من الوفد المصري على اثر شقاق داخلي .

تركيه — تم الاتفاق بين تركية وفرنسة على ان تعاد املاك السوريين واللبنانيين في تركية الى اصحابها ، وتعاد املاك الاتراك في سورية ولبنان الى اصحابها ايضاً .

* امضيت بين تركية وايران معاهدة جديدة للصداقة والضمان مدتها خمس سنوات .

* اذاعت دوائر الافتاء بلاغاً على الائمة تعلمهم فيه انه تقرر ابتداء من اول رمضان القادم (٢٩ ك ١ ١٩٣٢) ان يكون الأذان ، وتقام الصلوات باللغة التركية .

تنبيه

اتانا بعض زيادات واصلاحات على المقال المنشور في اعداد كانون الثاني وشباط وآذار من هذه السنة بعنوان الصوم الاربعيني في القرن الرابع في الشرق والغرب ، فرأينا نشرها تعميماً للفائدة :

صفحة	خطأ	صواب
١٦	ح: ٢ H. E. V, 25,	H. E. V, Cap. XXIV.
١٧	ح: ٥ س: ٧ فيه هذا البابا، لكن . . .	البابا» (انتهى قول .ورة) لكن . . .
١٨	س: ٤ Tessaraconta	Τεσσαρακοστή,
١٩	س: ١ Tessaracnota	Τεσσαρακοστή,
١٩	س: ٢ Penteconta	Πεντηκοστή,
١٩	س: ٧ Tessaraconta	Τεσσαρακοστή,
٢٠	ح: ٢	يضاف ان النصّ مأخوذ من المجلّد الاول من الكتاب المذكور
٢١	ح: ٢ س: ٢ H. E. Col. XXIV	H E. Cap. XXIV
٢١	ح: ٤	يزاد قبل الحاشية Homel VI, de Quadrag. 1,. P. L. t. LIV col. 286 (هذه الشهادة للقديس لاون) ويقرب . . . الخ
٢٢	س: ١١ نقدم	تَقَدَّم
١٣٩	س: ١٠ لارادها	لادارها
١٦٠	ح: ٤ س: ٢ Lib. V, cap. X. 20 ; Pitra...	Lib. V, cap. XX; Pitra ....
١٦١	س: ٧ واجلى تصريح على ما نقول بيان السائحة اتيريا . . .	يُضاف: وهذا هو البيان: «والاعياد الفصحية عند اتباعنا يحتفل بها هكذا: فكما نحن نحفظ الاربعين يوماً السابقة للفصح كذلك هنا تحفظ الاسابيع الثمانية السابقة للفصح . وتحفظ هذه الاسابيع الثمانية لانه لا يُصام ايام الآحاد والسبوت ما عدا يوم سبت واحد ، تتقدمه الفصح حيث الصيام واجب . وما خلا هذا اليوم الوحيد لا يصام البتة نهار السبت على طول السنة . فهكذا

			اذا حذفت من الاسابيع الثانية ٨ آحاد وسبع سبوت (لانه لا بدّ من صيام سبت كما قلت اعلاه) بقي للصوم ٦١ يوماً» (انتهى)
١٦١	س : ١٠	Tauttée	Touttée
١٦١	س : ٢٠	ادولپوس	ادوليوس
١٦٣	س : ١	Thumis	Thmuis
١٦٣	س : ١٢	Charmuthi... Chaménoth	Pharmuthi.... Phanémoth
١٦٣	س : ١٥	Charmuthi	Pharmuthi
١٦٦	ح : ١	Homel VII de Quadragesimo, 1, P. L. t.LIV	Homel VII de Quadragesima, 1, P. L., t. LIV, col. 288.
٢١٨	ح : ٢	p. 123	p. 133
٢٢٠	ح : ٤	col. 1010	col. 490
٢٢٠	ح : ٦	p. 471-482	p. 481-482
٢٢٢	ح : ٢	col. 1481	col. 148
٢٢٢	ح : ٧	col. 184	col. 181
٢٢٣	س : ١٦	Pitra 31°, op. cit.p.637	Pitra, op. cit. p. 637

— كنا قد نشرنا في مشرق تشرين الاول الفائت (ص ٧٨٧–٧٩٠) نتيجة احصاء سكان الجمهورية اللبنانية في سنة ١٩٣٢ كما وصلتنا عن دائرة الاحصاء الرسمية وكما وصلت الى جميع صحف العاصمة. وكان فيها ان البروتستانت بلغوا ١٨٦٩ . ثم تحققنا ان عددهم الحقيقي هو ٦٨٦٩ فاقتضى التنبيه . على ان المجموع العام لا يتأثر بهذا الفرق لان الزيادة في عدد البروتستانت كانت مضافة الى عدد «سائر الطوائف» وعليه فان المجموع يبقى بالغاً ٧٩٣٣٩٦.